غزوة ذي قرد

غزوة فريدة ودروس عديدة

تأليف

فتحي بن فتحي الجندي

دار طيبة للنشر والتوزيع

مكتب الدراسات والتحقيق

غزوة فريدة ودروس عديدة

تأليف

فتحي بن فتحي الجندي

دار طيبة للنشر والتوزيع
مكتب الدراسات والتحقيق بالدار

ح) دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجندي، فتحي فتحي

غزوة فريدة ودروس عديدة . - الرياض

١١٢ ص ؛ ١٤X٢٠ سم

ردمك X-١٣-٠٠-٨٠٠-٩٩٦٠

١- الصحابة والتابعون

٢- السيرة النبوية

أ - العنوان

ديوي ٩، ٢٣٩ ١٦/١٣٢٨

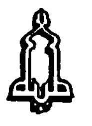
رقم الإيداع: ١٦/١٣٢٨

ردمك: X-١٣-٠٠-٨٠٠-٩٩٦٠

غــزوة فريـدة ..
ودروس عديـدة

○ الطبعة الأولى ○

١٤١٦هـ



دار طيبة للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - السويدي - ش السويدي العام - غرب النفق
ص.ب: ٧٦١٢ - رمز بريدي: ١١٤٧٢ - ت: ٤٢٥٣٧٣٧ - فاكس: ٤٢٥٨٢٧٧
مكة المكرمة - هاتف: ٥٥٨٩٠٢٧ - فاكس: ٥٥٨٩٧٨٠

مقدمة الناشر

الحمد لله، نحمده تعالىٰ علىٰ نعمة الإيمان وهداية الإسلام؛ فقد أرشدنا سبحانه إلىٰ طريق السداد في الحياة الدنيا، والفوز والرشاد في الآخرة، وأنار لنا الطريق بمنارات الهداية من نصوص الكتاب والسنة، وسير أعلام الأمة من الصحابة والتابعين ومن نحا نحوهم فسار علىٰ منهاج السنة.

والصلاة والسلام علىٰ رسوله المصطفىٰ ﷺ وعلىٰ آله وأصحابه الطيبين الذين بذلوا في سبيل نصرة هذا الدين كل غالٍ ونفيس؛ فكانوا لنا أوضأ نبراسٍ وخير قدوةٍ؛

ثم أمـــا بعـــــد

فلا يخفىٰ علىٰ أحد من المسلمين ما وصلت إليه الأمة الإسلامية اليوم من حال الضعف والتفكك حتىٰ صارت أراضيها تسلب من أطرافها وأواسطها؛ كل هذا بعد أن كانت لها السيادة والريادة للبشرية جمعاء؛ تلك السيادة التي كان غرضها الهداية والإصلاح لا البطر والإفساد؛ كما قال تعالىٰ: ﴿الذين إنْ مكنَّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهَوْا عن المنكر ولله عاقبةُ الأمور﴾ [الحج: ٤١].

وعلى المسلمين - حتى يستعيدوا هذه المكانة ويؤدوا ما حملوا من أمانة - أن يبذلوا من جهدهم بذلاً شديداً، ويضحوا في سبيل ذلك تضحية كبيرة. وحتى يقدم المسلمون اليوم على ذلك لابد من تذكيرهم الدائم بمواقف الرسول ﷺ وصحابته الكرام - رضي الله عنهم - إزاء نصرة هذا الدين والدعوة إليه؛ فهم ولاشك خير قدوة تُستلهم منها معاني البذل والتضحية.

ومن باب المساهمة في هذا الأمر رأت الدار نشر رسالة لطيفة عن غزوة ذي قرد وما بذله فيها الصحابي الجليل سلمة بن الأكوع من جهود فريدة، وما يمكن أن يستنبط منها من فوائد ودروس عديدة فنسأل الله أن ينفعنا بها وأن يرزقنا جميعاً الإخلاص في القول والعمل.

الناشر

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه، ومن اهتدىٰ بهديه واقتفىٰ أثره إلىٰ يوم الدين.

وبعد ..

فقد طلب إليَّ بعض الأخوة بدار طيبة بالرياض: تأليف رسالة لطيفة عن «**غزوة ذي قرد**» وأهم الفوائد والدروس المستفادة منها؛ ولأن الأمانة تقتضي عزو الفضل إلىٰ أهله ـ وهذا من بركة العلم ـ أجد لزاماً عليَّ أن أقول: إننا قَدْ تحاورنا بخصوص المطلوب. وقَدْ اقترحوا عليَّ العناصر ورؤوس الأقلام التي سأكتب فيها ـ هذا إلا أن يفتح الله عليَّ بشيء جديد حال الشروع في الكتابة، وهذا ما قَدْ كان ـ لذا فقَدْ رأيت أنّه قد بات لزاماً عليّ أن أنزل عَلَىٰ رغبتهم، وألبِّي طلبهم. فبدأت الكتابة رغم ضيق الوقت، وكثرة المشاغل، وقلة المراجع، فالله نسأل التوفيق والسداد، فما كان من توفيق وسداد فهو من الله وحده، وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمني ومن الشيطان.

هذا ويبقىٰ علىٰ من وقف علىٰ هذه الرسالة واجب النصيحة، مع التماس الأعذار، والإغضاء عن الهنات، تلك الهنات التي لا يخلو منها كلام بشر كائناً من كان إلا من عصم الله تعالىٰ، فقد أبىٰ الله تعالىٰ أن تكون العصمة إلَّا لوحيه.

هذا وقد راعيت في هذه الرسالة أن تكون سهلة الأسلوب قدر الاستطاعة، مَعَ التوثيق للمعلومات؛ لكي يأخذ كل قارئ ما يُناسبه حتىٰ يعم النفع بها. وقد كنت سميتها:

« إتحاف الأهل والولد .. بوقائع غزوة ذي قرد »

وقَد كانت خطَّتي في الكتابة كالآتي:

- بدأت بعمل توطئة بين يدي البحث: بيّنت فيها كيف كان أصحاب النبي ﷺ يتعاملون مع الوحي! وكيف صار حال الناس اليوم!
- بعد ذلك يأتي التعريف بغزوة ذي قرد، ثُمَّ أذكر شيئاً من ترجمة (بطلها) وراويها: (**سلمة بن الأكوع**) رضي الله عنه.
- ثُمَّ أشير إلَىٰ الروايات التي وقفت عليها ـ والتي تخصّ غزوة ذي قرد ـ علىٰ سبيل الإجمال.
- هذا ولقد كان الاعتماد أساساً علىٰ رواية: (إياس بن سلمة بن

الأكوع) والتي قد رواها الإمام مسلم في صحيحه بطولها. إلا أننا قد نعرّج أحياناً على الروايات الأخرىٰ أثناء الشرح إذا كان هناك مزيد فائدة من ذلك.

- هذا وقد رأيت أن من الأفضل: سرد الرواية كاملة كما وردت في صحيح مسلم لكي يكون القارئ علىٰ بيّنة من الأمر، ويأخذ صورة مجملة عن الغزوة، ثم أعود لسرد الرواية تدريجيًا بعد تقطيعها مع ذكر التعليقات، وشرح المفردات، وذكر المستفاد من كل مقطع في حينه علىٰ حدة.

- وقد رأيت أن هذا المسلك أفضل كثيراً للقارئ بدلاً من الانتقال إلىٰ الحاشية؛ وبذلك تكون الفائدة أكبر وأتم؛ ولكي لا يضيع شيء من جهد القارئ في التنقل بين النص: في المتن والتعليق: في الحاشية، ثم البحث بعد ذلك عن موضع الفائدة كما وردت في سياق النص.

- هذا وقد أعلّق في بعض الأحيان علىٰ الفائدة بما يدعمها ويوضحها من النصوص الأخرىٰ إذا لزم الأمر. إلا أن هذا يكون علىٰ سبيل الاختصار ـ ما أمكن ـ حتىٰ لا تخرج الرسالة عن موضوعها الخاص بالغزوة إلىٰ استطرادات قد تطيلها علىٰ القراء.

- ثم تأتي بعد ذلك الخاتمة بعنوان: «**وبعـــد**» وفيها سرد مجمل الفوائد والدروس.

- ثم تأتي بعد ذلك لوحات مضيئة بعنوان: «**لوحات الشرف**» أسرد فيها ترجمة لبعض الأبطال الذين عرضنا لهم أثناء سرد الغزوة.

- ثم إني أعدت النظر في الرسالة ونقحتها، وقد سميتها بناء على طلب الإخوة في دار طيبة:

« غزوة فريدة .. ودروس عديدة »

- هذا والله أسأل أن ينفع بهذه الرسالة. وأن يجعلها خالصة لوجهه. وصلّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتب

فتحي بن فتحي الجندي

الرياض: ١/١/١٤١٦هـ

توطئة

إن مما لاشك فيه أننا نعيش في عصر: غربة الإسلام - فهي غربة بمعنىٰ الكلمة - حتىٰ بين الذين ينتسبون إليه. وعندما نقول: (الإسلام) فإننا نعني بذلك: الإسلام الكامل الشامل، أو الإسلام كما أراده الله تعالىٰ.

وحتىٰ تُردّ غربة الإسلام - وقبل ذلك: لكي نكون مسلمين - لابد من العودة إلىٰ كتاب الله، وإلىٰ سنَّة رسوله ﷺ - ونعني بذلك السنَّة الصحيحة الثابتة - وكذلك العودة إلىٰ هدي السلف الصالح. ولا نعني بذلك التقليد المحض؛ إنما نعني الاتّباع علىٰ بصيرة، مع الوضع في الاعتبار أن كل إنسان يُؤخذ من كلامه ويُرد عليه إلّا المعصوم ﷺ.

وما أعظمها من كلمة تلك التي قالها ابن مسعود رضي الله عنه: **(الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك)**، وتجدون مصداق ذلك في قوله تعالىٰ: **﴿إنَّ إبراهيمَ كان أمَّةً قانتاً للَّه حنيفاً ولم يكُ من المشركين﴾** [النحل: ١٢٠].

وما أجلها من وصيَّة تلك التي تقول:

(اسلك سبيل الحق ولا تيأس لقلّة السالكين، واحذر سبيل الباطل ولا تغترّ بكثرة الهالكين)، فعلىٰ الإنسان العاقل والناصح لنفسه أن يضع نصْب عينيه: (الوحي) - والوحي فقط الذي جاء من عند الله - لا وحي

الشياطين، قال تعالىٰ: ﴿**فاستمسك بالذي أُوحيَ إليك إنك على صراط مستقيم**﴾ [الزخرف: ٤٣]. وقال تعالىٰ: ﴿**قل إنما أُنذرُكم بالوحيّ..**﴾ [الأنبياء: ٤٥]. وقال تعالىٰ: ﴿**قل إن ضللتُ فإنما أضلُّ على نفسي وإن اهتديتُ فبما يُوحي إليَّ ربِّي..**﴾ [سبأ: ٥٠].

ومن الجدير بالملاحظة: أن هذا كله كان في شأن النبي ﷺ! فكيف بنا نحن؟!

بكل تأكيد نقول: إنه لا فلاح لنا ولا نجاح إذا لم نستمسك بالوحي؛ علماً وعملاً. علىٰ أن يكون ذلك بعد الإيمان الراسخ الذي لا يتزعزع؛ فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال:

«لَقَدْ عِشْتُ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِي وَإِنَّ أَحَدَنَا يُؤْتَىٰ الإِيمَانَ قَبْلَ القُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَتَعَلَّمُ حَلالَهَا وَحَرَامَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمُ القُرْآنَ، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ رِجَالاً يُؤْتَىٰ أَحَدُهُمُ القُرْآنَ قَبْلَ الإِيمَانِ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَةِ الكِتَابِ إِلَىٰ خَاتِمَتِهِ وَمَا يَدْرِي مَا آمِرُهُ وَلا زَاجِرُهُ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ [مِنْهُ]، وَيَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ»(١).

---

(١) هذا الأثر ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٦٥) وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفي الكبير بتمامه، ورجاله رجال الصحيح، وهو أيضاً في مجمع البحرين (١/ ٢٠١ـ٢٠٢).

ومعنىٰ **(ينثره نثر الدقل)**: لايعبأ به، ولا يقدره حق قدره؛ إذ أن **(الدقل)**: هو رديء التمر، وقيل يابسه وما ليس له اسم خاص؛ فتراه ليبسه ورداءته لا يجتمع ويكون منثوراً بخلاف الأنواع الأخرىٰ المعروفة والمرغوبة.

قلت: وهذا ـ بكل أسف ـ حال الكثير من الناس اليوم: يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم! بل ربما اتخذ البعض من القرآن مطيّة لأهوائهم المريضة وشهواتهم الهابطة!

أما أصحاب النبي ﷺ فقد كانوا ـ رضوان الله عليهم ـ يتلقّون الوحي ليعملوا به ويستضيئوا بهديه، ويفزعون إليه كلما جدّ الجد، وادلهمّ الخطب.

ولأنهم عرفوا قيمة الوحي، وعاصروا تنزّله منجماً علىٰ حسب الوقائع والحوادث والنوازل؛ لذا فقد فجعوا بانقطاعه عنهم؛ بوفاة النبي ﷺ.

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال:

قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: «انطلق بنا إلىٰ أم أيمن؛ نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها. قال: فلما انتهينا إليها: بكت؛ فقالا لها: ما يُبكيكِ؟! ما عند الله خير لرسوله.

فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم: أن ما عند الله خير لرسوله، ولكن أبكي: أن الوحي قد انقطع من السماء!! فهيجتهما على البكاء؛ فجعلا يبكيان»[1].

بمثل هذا الشعور النبيل كان أصحاب النبي ﷺ يحيون، ويتحركون. وبينما يسيرون بأقدامهم على الأرض كانت قلوبهم معلقة بالسماء؛ فكانوا كما قيل عنهم بحق: (**كانوا رهبانًا بالليل، وفرسانًا بالنهار**).

وبمثل هذا تحوّلوا من: رعاة للغنم إلى: سادة للأمم!!!

ثم إنَّ أمَّة الإسلام قد أصابها داء الأمم من قبلها: ﴿**.. فطال عليهم الأمد فقَسَتْ قلُوبُهم وكثيرٌ منهم فاسقون**﴾ [الحديد: ١٦].

ومن هنا ضعفت شوكتهم - إن كان لا يزال هناك شوكة - ويُوشك أن تذهب ريحهم؛ بانسلاخهم من الإسلام - إلَّا قليلًا - وبعد أن تحوّلوا إلى (أمم) أو إلى أشباه أمم! بعد أن كانوا ﴿**أُمَّةً واحِدَةً**﴾.

وبعد أن صاروا في ذيل القافلة: لا وزن لهم ولا قيمة! بل صاروا مثل (تيْم) إن صدق قول الشاعر في (تيم):

ويُقضى الأمرُ حين تغيب «تيمٌ» .. ولا يُستأذنون وهم شهودُ

بل إن الأمر قد تعدَّى ذلك؛ فصار الكثيرون يعملون بما يُملى عليهم. وأصبح الإسلام - كما أراده الله تعالى - مطاردًا سرًا وعلانيةً

---

(١) رواه مسلم/ ك فضائل الصحابة (٢٤٥٤)، وابن ماجه بنحوه/ ك الجنائز (١٦٣٥).

لإرضاء أعداء الله: ﴿**ولن ترضى عنك اليهودُ ولا النصارى حتَّى تتبع ملَّتَهم**﴾ [البقرة: ١٢٠].

وينبغي أن يُلاحظ هنا: أن الله تعالىٰ قد قال: ﴿**ملَّتَهُمْ**﴾ هكذا بالإفراد، ولم يقل: «ملَّتَيْهم» بالتثنية؛ ذلك أن: (الكفر ملَّةٌ واحدةٌ) وإن تعددت أشكاله وألوانه.

ولله درّ الناصح الشفيق سيد قطب ـ رحمه الله ـ إذ كتب في الخمسينيات مقالاً بعنوان: (**إسلام أمريكاني**)[1]، لقد كان يصف الإسلام المزيّف والممسوخ الذي حوّرته الأهواء حتَّىٰ يرضىٰ عنه الأعداء: ﴿**وَلَنْ تَرْضَى..**﴾.

بل إن أخطر القضايا قد مُيّعَت ـ إلا قليلاً عند أهل التوحيد الخالص، وقليل ما هم ـ ألا وهي: قضية (**الولاء والبراء**) التي تُعدُّ أوثق عُرَىٰ الإيمان؛ فصار الولاء للأعداء وعلىٰ الدنيا، وصار البراء من أهل الخير، الذين يدعون إلىٰ: الإسلام الشامل الكامل كما أراده الله: الإسلام الذي يُعيد (**دولة الخلافة**) أمَّة واحدة، وراية واحدة، حتىٰ ترفرف رايات الجهاد في سبيل الله من جديد. ووالله إن هذا لكائن ـ كما أخبر النبي ﷺ ـ ولو كره الكافرون والمنافقون؛ رغم أن العالم الإسلامي قد صار كالأرض التي توالىٰ عليها زلزال، بعد زلزال، بعد زلزال.

---

(١) راجع كتاب: (دراسات إسلامية) لسيد قطب رحمه الله، ط. الشروق ص١١٩.

لقد مُزِّقت دولة الإسلام ـ نعني دولة الخلافة ـ كلَّ مُمَزَّقٍ بتدبير من الكفرة المستعمرين، وبالتعاون أحياناً مع بعض الخونة المتواطئين لغرض من الأغراض، فتعاهدوا سراً، ودبروا بليل لهدم الهيكل العظمي الذي كان يُعرف بدولة الخلافة! والتي كانت ترعبهم رغم الضعف الذي اعتراها، والخلل الذي كان يسري كالسوس في عظامها: ولم يهدأ لهم بال إلا بعد أن لحدوها في قبرها، وأهالوا عليها التراب بأيديهم.

ثم إنهم اصطنعوا بعد ذلك ـ أو قبله ـ بدعة (الحدود الدولية) فلم يرحلوا إلا بعد أن اطمأنوا إلى تكريس (القومية) و(الوطنية) حيث تركوا (أوطاناً) قد تحررت بزعمهم! بعد استيفاء بعض الشروط مع البدائل الجديدة. ومن ذلك: أن يكون لكل دولة (عَلَمَها) الخاص بها، و(نشيدَها) الوطني! و(سَلامَهَا) الجمهوري... ! بدلاً من راية واحدة؛ هي راية التوحيد.

وبذلك استنبتوا بذور الفتنة التي قيل لها قديماً: **(دعوها إنها مُنْتِنة)**[1]!! واشتدت الغربة، وادلهم الخطب، وتسلّط الطواغيت، وظهرت الرويبضة! أتدرون ما الرويبضة؟

(١) رواه البخاري/ك التفسير (٤٩٠٥)، ومسلم/ك البر والصلة (تحت ٢٥٨٤)، والترمذي/ك التفسير (٣٣١٢)، وأحمد (٣/ ٣٣٨، ٣٨٥، ٣٩٣).

روىٰ أحمد وابن ماجه والحاكم من طرق عن أبي هريرة وأنس عن النبي ﷺ أنه قال: «**سيأتي علىٰ الناس سنوات خداعات: يُصدَّق فيها الكاذب، ويُكذَّب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويُخَوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة. قيل: يا رَسُول الله، وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلَّم في أمر العامَّة**»[1] .

هذا وظهور الرويبضة واضح ولا يحتاج منا إلىٰ تعليق!

لقد أصبحنا ـ ويا لهول ما أصبحنا ـ أصبحنا: كالشياه المطيرة، في الليلة الشاتية: لا راع يزُود، ولا حظيرة تؤوي!

رغم هذا فإن الأرض لن تخلو من قائم لله بحجة ـ ولكنا نطمع أن تعود وحدة الدول والدويلات في دولة واحدة ـ هي دولة الخلافة الراشدة من جديد ـ براية واحدة علىٰ منهاج النبوَّة.

ولن تعود دولة الإسلام المنشودة من جديد إلَّا بالعودة إلىٰ القرآن والسنَّة المطهّرة، واستحضار الصور المشرقة التي كان عليها سلفنا الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ؛ حيث قرنوا العلم بالعمل.

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٩١، ٣٣٨) و(٣/ ٢٢٠)، وابن ماجه واللفظ له/ك الفتن (٤٠٣٦)، والحاكم (٤/ ٤٦٥، ٥١٢)، وأبو يعلىٰ [٦/ ٣٧٨ (٣٧١٥)]، والطبراني في الكبير (١٨/ ٦٧، ٦٨) من حديث عمرو بن عوف، وهو حسن بطرقه وشواهده.

ومن هنا تبرز أهميّة الدراسة للكتابِ والسنّة، بما في ذلك سيرة النبي ﷺ وصحابته الكرام ـ رضي الله عنهم ـ، وفي هذا الإطار تأتي رسالتنا هذه عن (**غزوة ذي قرد**) لنرىٰ الدروس والعبر المستفادة منها ـ وهي كثر ـ فلعلّ الهمم أن تتحرك، والعزائم أن تشتد. ومن الله وحده نستمد العَوْن، وهذا أوان الشروع في: (**التعريفات**).

*** *** ***

التعريفـــات

* **اسم الرواية**: غزوة ذي قَرد. وذو قَرَد: ماء لغطفان على نحو بريد مما يلي غطفان، وقيل على مسافة يوم. والبريد: مسافة معينة تقدر بفرسخين. والفرسخ: ثلاثة أميال. والميل: أربعة آلاف ذراع.

* **الزمـــان**: وقعت بعد الحديبية، وقبل خيبر بثلاث ليال - على الراجح - أي: سنة سبع من الهجرة. وقد قيل: سنة ست؛ والراجح: سنة سبع.

* **بطلها[1] وراويها**: سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - وما أدراك ما سلمة بن الأكوع؟!: صحابيٌّ جليل، شَهِدَ بيعة الرضوان، وكان شُجاعاً رامياً؛ كما هو شأن قبيلته: أسلم سالمها الله[2]،

---

(١) على ذكر (البطل) والبطولة نقول: لا يخفى على القارئ الكريم أن كلمة (البطل) قد امتهنت في هذه الأيام؛ حيث صارت تطلق على كل من هبّ ودبّ، حتى إنها لتطلق على كل تويفه وتافهة من الممثلين والممثلات، واللاعبين واللاعبات! وهم أبعد الناس عن معاني البطولة الحقيقية، ولكننا في زمان الأكاذيب؛ فأراد الشياطين أن يشغلوا الناس بهذه البدائل الساقطة؛ إذ النفوس مشغوفة بالبحث عن البطولة والأبطال ولو في الخيالات والأساطير؛ فهاهم الأبطال!!

(٢) للتعرف على خصائص قبيلة أسلم، انظر: (فتيان أسلم) لطهماز فقد أجاد وأفاد على هنات فيه، وانظر صحيح البخاري/ك المناقب (٣٥١٣)، (٣٥١٤)، ومسلم/ك فضائل الصحابة (٢٥١٤، ٢٥١٥).

ويُقال: إنه كان يسبق الفرس شدا على قدميه؛ ولذا استحق وعن جدارة أن يُمنح لقب: **العدَّاء الأوَّل**. وقد زاده الله تعالى بسطة في الجسم كما تحدثنا الروايات:

عن عبد الرحمن بن رُزَيْن قال:

«أتينا سلمة بن الأكوع بالربذة، فأخرج إلينا يداً ضخمة كأنها خفّ البعير؛ فقال: بايعت بيدي هذه رَسُول الله ﷺ، فأخذنا يده فقبَّلْناها»[1].

وفي رواية: «فأخرج كفًّا له ضخمة كأنَّها كفّ بعير؛ فقمنا إليها: وقبّلناها»[2].

ولقد غزا سلمة ـ رضي الله عنه ـ مع النبي ﷺ سبع غزوات منها: الحديبية، ويوم حنين، ويوم ذي قرد، ويوم خيبر.

وبايع في الحديبية ثلاث مرات: في أول الناس، وفي أوسط الناس، وفي آخر الناس، وكانت بيعته ـ رضي الله عنه ـ للنبي ﷺ: على الموت، بينما كانت بيعة الناس على: ألا يفرُّوا.

وقد كان رضي الله عنه شجاعًا مقدامًا لا يُسبق، ولندعه رضي الله عنه يُحدّثنا عن بعض سباقاته إذ يقول:

«غزونا مع رَسُول الله ﷺ هوازن. فبينا نحن نتضحى مع رَسُول الله

(١، ٢) ابن سعد (٤/ ٣٠٦) بسند حسن، وبنحو أحمد (٤/ ٥٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٣).

ﷺ ـ [نتضحىٰ: أي نأكل طعام الضحىٰ؛ أي: نتغدىٰ] ـ إذ جاء رجل علىٰ جمل أحمر فأناخه، ثم انتزع طلقاً من حَقَبِهِ ـ [الطلق: العقَالُ من الجلد، وفي رواية أبي داود: انتزع طلقا من حقوه. والحقب: حبل أو سيْر يشد علىٰ حقو البعير، وقيل (حقْبه) بإسكان القاف: أي مما احتقب خلفه وجعله في حقِيبته. والحقو أيضًا: موضع ربط الإزار من الرجل] ـ فقيد به الجمل. ثم تقدّم يتغدىٰ مع القوم، وجعل ينظر: وفينا ضعفةٌ [أي حالة ضعف وهزال] ـ ورقَّةٌ في الظهر ـ [أي قلّة في الإبل] ـ وبعضنا مشاةٌ؛ إذ خرج يشتدّ ـ [أي يعْدُو مُسرعًا] ـ فأتىٰ جملَه فأطلق قيْدَه، ثم أناخه وقعد عليه؛ فأثاره ـ [أي: ركبه ثم بعثه قائمًا] ـ فاشتدّ به الجمل؛ فاتّبعه رجل علىٰ ناقة ورقاء ـ [أي: في لونها سواد كالغبرة].

قال سلمة: وخرجت أشتد؛ فكنت عند ورك الناقة، ثم تقدّمت؛ حتىٰ كنت عند ورك الجمل، ثم تقدّمت؛ حتىٰ أخذتُ بخطام الجمل؛ فأنختهُ، فلما وضع ركبته في الأرض اخترطت سيفي فضربت رأس الرجل فندر ـ [أي: انفصل عن جسده وسقط].

وفي رواية أخرىٰ تـمُوج بالحركة، قال:

فأدركته: ورأس الناقة عند ورك الجمل، وكنت عند ورك الناقة، ثم تقدّمت حتىٰ كنت عند ورك الجمل، ثم تقدمت حتىٰ أخذت بخطام الجمل، فأنخته. فلمّا وضع ركبته إلىٰ الأرض اخترطت سيفي،

فأضرب به رأسه فندر!! [لاحظ قوله: (فأضرب): عبَّر بصيغة المضارع لاستحضار صورة الفعل]، ويُكمل سلمة الرواية:

ثم جئت بالجمل أقوده، عليه رحله وسلاحه؛ فاستقبلني رسول الله ﷺ والناس معه فقال: «مَنْ قتلَ الرجل؟» قالوا: ابن الأكوع. قال: «له سلبُهُ أجمع»(١).

وفي رواية: عن إياس بن سلمة يحكي عن أبيه قال:

فابتدر القوم، وكان أبي يسبق الفرس شداً - [أي: على قدميه] - قال: فسبقهم إليه.. إلخ.

كانت هذه مجرد إشارات وأضواء على شخصية سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، ونكتفي بهذا القدر من ترجمته؛ حيث سيظهر لنا الكثير من جوانب شخصيَّته من خلال وقائع غزوة ذي قرد، والتي ستأتي قريباً بإذن الله تعالى، كما أننا سوف نعرض لشيء من ترجمته الذاتية عندما نترجم له في ملحق: «**لوحات الشرف**».

* سبب الغزوة:

كان سبب الغزوة أن المشركين من غطفان - وبالتحديد من فزارة -

---

(١) رواه مسلم/ك الجهاد (١٧٥٤)، وأبو داود/ك الجهاد (٢٦٥٤)، وأحمد (٤/ ٤٩، ٥٠، ٥١). وأصل الحديث في البخاري مختصراً/ك الجهاد (٣٠٥١).

أغاروا على الغابة - [وهي موضع خارج المدينة من ناحية الشام، فيه أموال لأهل المدينة] - فأخذوا لقاح النبي ﷺ - [اللقاح: النياق ذوات اللبن، والحديثة العهد بالولادة] - وكان هذا قبيل أن يؤذن بالأولى - [أي الصلاة الأولى: صلاة الفجر] - وشاء الله تعالى أن سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - كان قد خرج بفرس لطلحة بن عبيد الله - رضي الله عنه -؛ فعلم بما جرى. فكان من أمره ما كان، مما سنقف عليه بالتفصيل من روايته بعد إن شاء الله تعالى.

* **الروايـــات:**

قال الإمام الحُمَيْدي - رحمه الله - في «الجمع بين الصحيحين» بعد حديث إياس بن سلمة بن الأكوع في صحيح مسلم:

«.. في هذا الحديث من ذكر الإغارة على السرْح، وقصّة عامر وارتجازه، وقوله ﷺ: «لأعطين الراية ..» ما قد اتفق البخاري معه على معناه. ولكن فيه من الزيادة والشرح ما يُوجب كونه من أفراد مسلم؛ فأفردناه. وفي رواية أبي داود أخرج بعضه .. إلخ».

قلت:

- أما البخاري: فقد روى الحديث من رواية: يزيد بن أبي عبيد عن سلمة في كتاب المغازي/ باب غزوة ذات القرد [٧/ ٥٢٦ (٤١٩٤) فتح].

- أما مسلم: فقد اتفق مع البخاري في تخريج رواية يزيد بن أبي عبيد في كتاب الجهاد والسير/ باب غزوة ذي قرد وغيرها (١٨٠٦)، ثم انفرد مسلم برواية: إياس بن سلمة عن أبيه - وهي أطول الروايات - في نفس الباب برقم (١٨٠٧).

- أما أبو داود: فقد أخرج بعضًا من رواية إياس بن سلمة عن أبيه في كتاب الجهاد/ باب في السريَّة ترد على أهل العسكر (٢٧٥٢).

- أما النسائي: فقد أخرج رواية يزيد بن أبي عبيد عن سلمة في السنن الكبرى/ ك عمل اليوم والليلة [٦/ ٢٤٣ (١٠٨١٤)].

- أما الإمام أحمد: فقد أخرج كلتا الروايتين في مسنده مع بعض الاختلاف (٤/ ٤٨، ٥١، ٥٢).

وبعد هذا تبقى رواية إياس بن سلمة في صحيح مسلم أطول الروايات؛ ولذا سنعتمدها أساسًا في عرض الغزوة[1].

(١) انظر أيضًا: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٤٥٢٩)، (٧١٧٣)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٣٦)، ودلائل النبوة (٤/ ١٨٠، ١٨٦)، والطبراني (٦٢٦٤)، وابن أبي شيبة (١٤/ ٥٣٢ - ٥٣٨)، وابن سعد (٢/ ٨١ - ٨٤)، وتاريخ الطبري (٢/ ١٠٥ - ١٠٨)، والبداية والنهاية (٤/ ١٥١ - ١٥٥).
وستجد الكثير من الروايات الضعيفة والمتناقضة؛ ولهذا ضربْنا عنها صفحًا، ولم نذكرها.

روايةُ إياس بن سلمة
في صحيح مسلم

رَوَىٰ مُسْلِمُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ:

«قَدِمْنَا الْحُدَيْبِيَةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنَحْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مائَةً، وَعَلَيْهَا خَمْسُونَ شَاةً لا تُرْوِيهَا قَالَ: فَقَعَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ جَبَا الرَّكِيَّةِ. فَإِمَا دَعَا وَإِمَّا بَسَقَ فِيهَا. قَالَ فَجَاشَتْ. فَسَقَيْنَا وَاسْتَقَيْنَا. قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَانَا لِلْبَيْعَةِ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ. قَالَ: فَبَايَعْتُهُ أَوَّلَ النَّاسِ. ثُمَّ بَايَعَ وَبَايَعَ. حَتَّىٰ إِذَا كَانَ فِي وَسَطٍ مِنَ النَّاسِ قَالَ: بَايِعْ يَا سَلَمَةُ، قَالَ: قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُكَ يَا رَسُولَ اللهِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ. قَالَ: وَأَيْضًا، قَالَ: وَرَآنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَزِلاً (يَعْنِي لَيْسَ مَعَهُ سِلاَحٌ). قَالَ: فَأَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ حَجَفَةً أَوْ دَرَقَةً. ثُمَّ بَايَعَ. حَتَّىٰ إِذَا كَانَ فِي آخِرِ النَّاسِ قَالَ: أَلاَ تُبَايِعُنِي يَا سَلَمَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُكَ يَا رَسُولَ اللهِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ، وَفِي أَوْسَطِ النَّاسِ. قَالَ: وَأَيْضًا. قَالَ: فَبَايَعْتُهُ الثَّالِثَةَ. ثُمَّ قَالَ لِي: يَا سَلَمَةُ، أَيْنَ حَجَفَتُكَ أَوْ دَرَقَتُكَ الَّتِي أَعْطَيْتُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَقِيَنِي عَمِّي عَامِرٌ عَزِلاً. فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا. قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: إِنَّكَ كَالَّذِي قَالَ الأَوَّلُ: اللَّهُمَّ! أَبْغِنِي

حَبِيبًا هُوَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. ثُمَّ إِنَّ الْمُشْرِكِينَ رَاسَلُونَا الصُّلْحَ. حَتَّىٰ مَشَىٰ بَعْضُنَا فِي بَعْضٍ. وَاصْطَلَحْنَا. قَالَ: وَكُنْتُ تَبِيعًا لِطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ أَسْقِي فَرَسَهُ، وَأَحُسُّهُ، وَأَخْدِمُهُ، وَآكُلُ مِنْ طَعَامِهِ، وَتَرَكْتُ أَهْلِي وَمَالِي، مُهَاجِرًا إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ. قَالَ: فَلَمَّا اصْطَلَحْنَا نَحْنُ وَأَهْلُ مَكَّةَ، وَاخْتَلَطَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ، أَتَيْتُ شَجَرَةً فَكَسَحْتُ شَوْكَهَا، فَاضْطَجَعْتُ فِي أَصْلِهَا. قَالَ: فَأَتَانِي أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ. فَجَعَلُوا يَقَعُونَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَأَبْغَضْتُهُمْ. فَتَحَوَّلْتُ إِلَىٰ شَجَرَةٍ أُخْرَىٰ. وَعَلَّقُوا سِلَاحَهُمْ، وَاضْطَجَعُوا. فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَىٰ مُنَادٍ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ! قُتِلَ ابْنُ زُنَيْمٍ.

قَالَ: فَاخْتَرَطْتُ سَيْفِي، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَىٰ أُولَئِكَ الْأَرْبَعَةِ وَهُمْ رُقُودٌ. فَأَخَذْتُ سِلَاحَهُمْ فَجَعَلْتُهُ ضِغْثًا فِي يَدِي، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ لَا يَرْفَعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَأْسَهُ إِلَّا ضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ. قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ بِهِمْ أَسُوقُهُمْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَ: وَجَاءَ عَمِّي عَامِرٌ بِرَجُلٍ مِنَ الْعَبَلَاتِ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزٌ، يَقُودُهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ فَرَسٍ مُجَفَّفٍ. فِي سَبْعِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: دَعُوهُمْ. يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الْفُجُورِ وَثِنَاهُ فَعَفَا عَنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ. وَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿**وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ**﴾ الْآيَةَ كُلَّهَا.

قَالَ: ثُمَّ خَرَجْنَا رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ. فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً. بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَنِي لِحْيَانَ جَبَلٌ. وَهُمُ الْمُشْرِكُونَ. فَاسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَنْ رَقِيَ هَذَا الْجَبَلَ اللَّيْلَةَ كَأَنَّهُ طَلِيعَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ. قَالَ سَلَمَةُ: فَرَقِيتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا. ثُمَّ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ. فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِظَهْرِهِ مَعَ رَبَاحٍ غُلامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَنَا مَعَهُ، وَخَرَجْتُ مَعَهُ بِفَرَسِ طَلْحَةَ. أُنَدِّيهِ مَعَ الظَّهْرِ. فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَزَارِيُّ قَدْ أَغَارَ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَاسْتَاقَهُ أَجْمَعَ. وَقَتَلَ رَاعِيَهُ. قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَبَاحُ خُذْ هَذَا الْفَرَسَ فَأَبْلِغْهُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ، وَأَخْبِرْ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَغَارُوا عَلَى سَرْحِهِ.

قَالَ: ثُمَّ قُمْتُ عَلَى أَكَمَةٍ فَاسْتَقْبَلْتُ الْمَدِينَةَ. فَنَادَيْتُ ثَلاثًا: يَا صَبَاحَاه! ثُمَّ خَرَجْتُ فِي آثَارِ الْقَوْمِ أَرْمِيهِمْ بِالنَّبْلِ، وَأَرْتَجِزُ، أَقُولُ:

أَنَا ابْنُ الأَكْوَعِ ... وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ

فَأَلْحَقُ رَجُلاً مِنْهُمْ. فَأَصُكُّ سَهْمًا فِي رَحْلِهِ، حَتَّى خَلَصَ نَصْلُ السَّهْمِ إِلَى كَتِفِهِ. قَالَ: قُلْتُ: خُذْهَا.

وَأَنَا ابْنُ الأَكْوَعِ ... وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ

قَالَ: فَوَاللهِ! مَازِلْتُ أَرْمِيهِمْ وَأَعْقِرُ بِهِمْ، فَإِذَا رَجَعَ إِلَيَّ فَارِسٌ أَتَيْتُ

شَجَرَةً فَجَلَسْتُ فِي أَصْلِهَا، ثُمَّ رَمَيْتُهُ. فَعَقَرْتُ بِهِ. حَتَّىٰ إِذَا تَضَايَقَ الْجَبَلُ فَدَخَلُوا فِي تَضَايُقِهِ، عَلَوْتُ الْجَبَلَ. فَجَعَلْتُ أُرَدِّيهِمْ بِالْحِجَارَةِ. قَالَ: فَمَازِلْتُ كَذَلِكَ أَتْبَعُهُمْ حَتَّىٰ مَا خَلَقَ اللهُ مَنْ بَعِيرٍ مِنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا خَلَّفْتُهُ وَرَاءَ ظَهْرِي، وَخَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، ثُمَّ اتَّبَعْتُهُمْ أَرْمِيهِمْ، حَتَّىٰ أَلْقَوْا أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثِينَ بُرْدَةً وَثَلاثِينَ رُمْحًا، يَسْتَخِفُّونَ، وَلَا يَطْرَحُونَ شَيْئًا إِلَّا جَعَلْتُ عَلَيْهِ آرَامًا مِنَ الْحِجَارَةِ، يَعْرِفُهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، حَتَّىٰ أَتَوا مُتَضَايِقًا مِنْ ثَنِيَّةٍ فَإِذَا هُمْ قَدْ أَتَاهُمْ فَلانُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ، فَجَلَسُوا يَتَضَحَّوْنَ (يَعْنِي يَتَغَدَّوْنَ). وَجَلَسْتُ عَلَىٰ رَأْسِ قَرْنٍ. قَالَ الْفَزَارِيُّ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَىٰ؟ قَالُوا: لَقِينَا مِنْ هَذَا الْبَرْحَ، وَاللهِ مَا فَارَقَنَا مُنْذُ غَلَسٍ. يَرْمِينَا حَتَّىٰ انْتَزَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي أَيْدِينَا. قَالَ: فَلْيَقُمْ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْكُمْ، أَرْبَعَةٌ.

قَالَ: فَصَعِدَ إِلَيَّ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ فِي الْجَبَلِ. قَالَ: فَلَمَّا أَمْكَنُونِي مِنَ الْكَلامِ قَالَ: قُلْتُ: هَلْ تَعْرِفُونِي؟ قَالُوا: لَا. وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنَا سَلَمَةُ بْنُ الأَكْوَعِ وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا أَطْلُبُ رَجُلاً مِنْكُمْ إِلَّا أَدْرَكْتُهُ، وَلَا يَطْلُبُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ فَيُدْرِكُنِي. قَالَ أَحَدُهُمْ: أَنَا أَظُنُّ. قَالَ: فَرَجَعُوا. فَمَا بَرِحْتُ مَكَانِي حَتَّىٰ رَأَيْتُ فَوَارِسَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَ. قَالَ: فَإِذَا أَوَّلُهُمُ الأَخْرَمُ الأَسَدِيُّ، عَلَىٰ إِثْرِهِ أَبُو قَتَادَةَ

الأَنْصَارِيّ، وَعَلَىٰ إِثْرِهِ الْمِقْدَادُ بْنُ الأَسْوَدِ الْكِنْدِيُّ.

قَالَ: فَأَخَذْتُ بِعِنَانِ الأَخْرَمِ. قَالَ: فَوَلَّوْا مُدْبِرِينْ. قُلْتُ: يَا أَخْرَمُ! احْذَرْهُمّ لاَ يَقْتَطِعُوكَ حَتَّىٰ يَلْحَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ. قَالَ: يَا سَلَمَةُ، إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ، فَلا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ. قَالَ: فَخَلَّيْتُهُ. فَالْتَقَىٰ هُوَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ. فَعَقَرَ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ فَرَسَهُ. وَطَعَنَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنُ فَقَتَلَهُ، وَتَحَوَّلَ عَلَىٰ فَرَسِهِ، وَلَحِقَ أَبُو قَتَادَةَ، فَارِسُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ. فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ.

فَوَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَتَبِعْتُهُمْ أَعْدُو عَلَىٰ رِجْلَيَّ، حَتَّىٰ مَا أَرَىٰ وَرَائِي. مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلاَ غُبَارِهِمْ شَيْئًا، حَتَّىٰ يَعْدِلُوا قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَىٰ شِعْبٍ فِيهِ مَاءٌ يُقَالَ لَهُ ذَا قَرَدٍ؛ لِيَشْرَبُوا مِنْهُ وَهُمْ عِطَاشٌ. قَالَ: فَنَظَرُوا إِلَيَّ أَعْدُو وَرَاءَهُمْ. فَحَلَّيْتُهُمْ عَنْهُ (يَعْنِي أَجْلَيْتُهُمْ عَنْهُ) فَمَا ذَاقُوا مِنْهُ قَطْرَةً.

قَالَ: وَيَخْرُجُونَ فَيَشْتَدُّونَ فِي ثَنِيَّةٍ. قَالَ: فَأَعْدُو فَأَلْحَقُ رَجُلاً مِنْهُمْ، فَأَصُكُّهُ بِسَهْمٍ فِي نُغْضِ كَتِفِهِ. قَالَ: قُلْتُ:

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الأَكْوَعِ . . . وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ

قَالَ: يَا ثَكِلَتْهُ أُمُّهُ! أَكْوَعُهُ بُكْرَةَ؟! قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ، أَكْوَعُكَ بُكْرَةَ. قَالَ: وَأَرْدَوْا فَرَسَيْنِ عَلَىٰ ثَنِيَّةٍ قَالَ: فَجِئْتُ بِهِمَا أَسُوقُهُمَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَالَ: وَلَحِقَنِي عَامِرٌ بِسَطِيحَةٍ فِيهَا مَذْقَةٌ مِنْ لَبَنٍ وَسَطِيحَةٍ فِيهَا مَاءٌ. فَتَوَضَّأْتُ وَشَرِبْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ الْمَاءِ الَّذِي حَلَأْتُهُمْ[1] عَنْهُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ أَخَذَ تِلْكَ الإِبِلَ، وَكُلَّ شَيْءٍ اسْتَنْقَذْتُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَكُلَّ رُمْحٍ وَبُرْدَةٍ، وَإِذَا بِلالٌ نَحَرَ نَاقَةً مِنَ الإِبِلِ الَّذِي اسْتَنْقَذْتُ مِنَ الْقَوْمِ. وَإِذَا هُوَ يَشْوِي لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ كَبِدِهَا وَسَنَامِهَا.

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، خَلِّنِي فَأَنْتَخِبُ مِنَ الْقَوْمِ مِائَةَ رَجُلٍ، فَأَتَّبِعُ الْقَوْمَ فَلاَ يَبْقَىٰ مِنْهُمْ مُخْبِرٌ إِلاَّ قَتَلْتُهُ. قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فِي ضَوْءِ النَّارِ. فَقَالَ: يَا سَلَمَةُ أَتُرَاكَ كُنْتَ فَاعِلاً؟ قُلْتُ: نَعَمْ، وَالَّذِي أَكْرَمَكَ. فَقَالَ: إِنَّهُمْ الآنَ لَيُقْرَوْنَ فِي أَرْضِ غَطَفَانَ. قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ غَطَفَانَ. فَقَالَ: نَحَرَ لَهُمْ فُلانٌ جَزُوراً. فَلَمَّا كَشَفُوا جِلْدَهَا رَأَوْا غُبَاراً. فَقَالُوا: أَتَاكُمُ الْقَوْمُ. فَخَرَجُوا هَارِبِينَ.

---

(١) حلأتهم: في بعض النسخ: (حلّيتهم).

فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ، قَالَ: ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ سَهْمَيْنِ: سَهْمُ الْفَارِسِ وَسَهْمُ الرَّاجِلِ، فَجمعهُمَا لِي جَمِيعًا، ثُمَّ أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَرَاءَهُ عَلَى الْعَضْبَاءِ رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ.

قَالَ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ. قَالَ: وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ لَا يُسْبَقُ شَدّاً، قَالَ: فَجَعَلَ يَقُولُ: أَلَا مُسَابِقٌ إِلَى الْمَدِينَةِ؟ هَلْ مِنْ مُسَابِقٍ؟ فَجَعَلَ يُعِيدُ ذَلِكَ. قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَهُ قُلْتُ: أَمَا تُكْرِمُ كَرِيمًا، وَلَا تَهَابُ شَرِيفًا؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللهِ ﷺ . قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي وَأُمِّي، ذَرْنِي فَلأُسَابِقَ الرَّجُلَ. قَالَ: إِنْ شِئْتَ. قَالَ: قُلْتُ: اذْهَبْ إِلَيْكَ، وَثَنَيْتُ رِجْلَيَّ فَطَفَرْتُ فَعَدَوْتُ. قَالَ: فَرَبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ أَسْتَبْقِي نَفْسِي[1] ، ثُمَّ عَدَوْتُ فِي أَثَرِهِ، فَرَبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ، ثُمَّ إِنِّي رَفَعْتُ حَتَّى أَلْحَقَهُ. قَالَ: فَأَصُكُّهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ. قَالَ: قُلْتُ: قَدْ سُبِقْتَ، وَاللهِ. قَالَ: أَنَا أَظُنُّ. قَالَ: فَسَبَقْتُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ.

قَالَ: فَوَاللهِ مَا لَبِثْنَا إِلَّا ثَلَاثَ لَيَالٍ حَتَّى خَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ . قَالَ: فَجَعَلَ عَمِّي عَامِرٌ يَرْتَجِزُ بِالْقَوْمِ:

(١) في بعض النسخ المطبوعة: (نَفَسِي) بفتح الفاء.

تَاللهِ لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا . · . وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا . · . فَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

وَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَنَا عَامِرٌ. قَالَ: غَفَرَ لَكَ رَبُّكَ. قَالَ: وَمَا اسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لإِنْسَانٍ يَخُصُّهُ إِلَّا اسْتُشْهِدَ. قَالَ: فَنَادَىٰ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَهُوَ عَلَىٰ جَمَلٍ لَهُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، لَوْلَا مَا مَتَّعْتَنَا بِعَامِرٍ. قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا خَيْبَرَ قَالَ: خَرَجَ مَلِكُهُمْ مَرْحَبٌ يَخْطِرُ بِسَيْفِهِ وَيَقُولُ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ . · . شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ

إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

قَالَ: وَبَرَزَ لَهُ عَمِّي عَامِرٌ، فَقَالَ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي عَامِرُ . · . شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُغَامِرُ

قَالَ: فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَوَقَعَ سَيْفُ مَرْحَبٍ فِي تُرْسِ عَامِرٍ، وَذَهَبَ عَامِرٌ يَسْفُلُ لَهُ، فَرَجَعَ سَيْفُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، فَقَطَعَ أَكْحَلَهُ، فَكَانَتْ فِيهَا نَفْسُهُ.

قَالَ سَلَمَةُ: فَخَرَجْتُ فَإِذَا نفرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُونَ: بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ. قَتَلَ نَفْسَهُ. قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، فَقُلْتُ: يَـا رَسُولَ اللهِ، بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِكَ. قَالَ: كَذَبَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ، بَلْ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ.

ثُمَّ أَرْسَلَنِي إِلَىٰ عَلِيٍّ، وَهُوَ أَرْمَدُ. فَقَالَ: لأُعْطِيَنَّ الـرَّايَةَ رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، أَوْ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَأَتَيْتُ عَلِيّاً فَجِئْتُ بِهِ أَقُودُهُ، وَهُوَ أَرْمَدُ، حَتَّىٰ أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَبَسَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ، وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، وَخَرَجَ مَرْحَبٌ فَقَالَ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ . . شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فَقَالَ عَلِيٌّ:

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ . . كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَهْ
أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

قَالَ: فَضَرَبَ رَأْسَ مَرْحَبٍ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَىٰ يَدَيْهِ.

*** *** ***

شرح حديث مسلم
(من رواية إياس بن سلمة)

في البداية نقول: قد سبق ونبهنا إلى أننا سوف نقوم بشرح الحديث ومفرداته، وأيضًا سنقوم بذكر الدروس المستفادة منه، والتعليق عليها - كل في موضعه - في سياق الشرح الإجمالي للحديث؛ وذلك لكي لا نمزّق الحديث تمزيقًا يُشتت ذهن القارئ، كما أنه لا يضيع بعضًا من وقته في تنقيل البصر من موضع إلى آخر بين المتن والحاشية.

وهذا أوان الشروع في ذلك:

عن إياس بن سلمة بن الأكوع قال: حدثني أبي قال: قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ ونحن أربع عشرة مائة - [جاء في بعض الروايات خمس عشرة مائة: انظر صحيح البخاري/ك المغازي (٤١٥٢)، (٤١٥٣): وثلاث عشرة مائة (٤١٥٥)] - **وعليها خمسون شاة لا ترويها** - [أي بئر الحديبية لا تروي هذا العدد لكثرته] - **قال: فقعد رسول الله ﷺ على جبا الركية** - [الركية: البئر. وجبا الركية: ما حول البئر. وقيل تحديدًا لما حولها: هو التراب الذي أخرج منها وجعل حولها] - **فإما دعا؛ وإما بَسَقَ فيها. قال: فجاشت؛ فسقينا، واستقينا** - [**قلت**: في بعض الروايات أن النبي ﷺ توضأ ومج في بئر الحديبية من فمه. انظر:

صحيح البخاري/ك المناقب (٣٥٧٧)، ومسلم رقم (١٨٠٧)، وأحمد (٤/ ٤٨)].

[و(بسق وبصق وبزق) بمعنىٰ: مج. وجاشت: فاضت بالماء].

قلت: وهذه معجزة ظاهرة من معجزات النبي ﷺ، وهناك معجزات أخرىٰ ستأتي بعد في سياق هذا الحديث.

قال: ثم إن رسول اللّه ﷺ دعا للبيعة في أصل الشجرة ـ [أصل الشجرة: أي تحتها، كما في قوله تعالىٰ: ﴿**لقد رَضِيَ اللّهُ عن المؤمنين إذْ يُبايِعُونَكَ تحتَ الشَّجَرةِ ..**﴾ (الفتح:١٨)] ـ **قال**: [أي سلمة: **فبايعته أوَّل الناس، ثم بايع وبايع؛ حتى إذا كان في وسط من الناس قال: بايع يا سلمة. قال: قلت: قد بايعتك يا رسول اللّه في أوّل الناس. قال: وأيضاً**.

قلتُ: يُستفاد من تكرار بيعة سلمة رضي الله عنه للنبي ﷺ اهتمامه ﷺ بأمره؛ وعليه ينبغي الاهتمام بأصحاب المواهب والكفاءات المتميزة: الذين يُرجىٰ خيرهم أكثر من غيرهم.

قال: ورآني رسول اللّه ﷺ عزلاً «يعني ليس معه سلاح» ـ [العزل: الذي ليس معه سلاح، ويُقال له أيضًا: أعزل. وهذا الأخير هو الأشهر استعمالاً] ـ **قال: فأعطاني رسول اللّه ﷺ حجفة أو درقة** ـ [الحجفة والدرقة: من أدوات الحرب، وهما شبيهتان بالترس].

قلت: فيه تعهّد القائد لجنوده: فمن رآه بغير سلاح أعطاه سلاحاً.

قال: ثم بايع، حتى إذا كان في آخر الناس قال: ألا تُبايعني يا سلمة؟

قال: قلت: قد بايعتك يا رسول اللّه في أول الناس وفي أوسط الناس.

قال: وأيضاً.

قال: فبايعته الثالثة.

قلت: في مراجعة سلمة ـ رضي الله عنه ـ لرسول الله ﷺ بقوله: (قد بايعتك) ما يدلّ على جواز مراجعة الكبير وذي الشأن بغرض البيان والتنبيه إذا تطرّق احتمال السهو بسبب كثرة المشاغل وضخامة الأعباء والاهتمامات.

وينبغي الانتباه إلى أن هذه المراجعة المتأدبة المنضبطة تختلف عن مراجعة الرد والمعارضة والمخالفة والتنطع؛ فهذه الأخيرة من مثل فعل ذي الخويصرة[1] وأشباهه. أما تلك المشروعة فمن مثل مراجعة سلمة ونظرائه من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وهذا واضح تمام الوضوح؛ حيث فعله سلمة ـ رضي الله عنه ـ ولم ينكر عليه النبي ﷺ.

---

(١) ذو الخويصرة: هو رأس الخوارج، وهو الذي قال للنبي ﷺ: (اتق الله)!!، وقال أيضاً: (اعدل يا محمد فإنك لم تعدل). وحديثه في الصحيحين وغيرهما من طرق كثيرة جداً.

قال سلمة: ثم قال لي: يا سلمة، أين حجفتك أو درقتك التي أعطيتك؟!

قال: قلت: يا رسول الله، لقيني عمّي «عامر» عزلاً فأعطيته إيّاها.

قال: فضحك رسول الله ﷺ وقال: إنك كالذي قال الأول: اللّهم أبغني حبيباً هو أحبُّ إليَّ من نفسي ـ [أبغني: أي أعطني].

قلت:

- فيه: تفقُّد الإمام لرعيته، وأهمية تعهّد القائد لجنوده ورعيته، وأيضًا السؤال عمّا في أيديهم وعهدتهم؛ وهذا من قبيل ما يمكن أن يُقال له بالاصطلاح العسكري الحديث: (الانضباط) أو التفتيش عن السلاح وغيره.
- وفيه أيضاً: تلطّف القائد مع جنوده وتبسّطه معهم؛ وهذا مما يقوي أواصر المحبة المطلوبة بين القائد وجنوده.
- وفيه أيضًا: بيان لفضيلة الإيثار التي كان يتمتع بها الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ؛ مصداقاً لقوله تعالىٰ: ﴿**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة..**﴾ [الحشر: ٩].
- وفيه: احترام الكبير وتقديمه، لاسيما إذا كان من ذوي القرابة كما فعل سلمة مع عمّه عامر ـ رضي الله عنهما ـ.

- وفيه أيضاً: جواز التمثّل بأقوال السابقين - إذا ناسب القول المقام -؛ حيث تمثل النبي ﷺ بقول الأول.

قال سلمة: **ثم إن المشركين راسلونا الصلح** - [راسلونا: من المراسلة. وفي بعض النسخ: راسونا: من رسّ الحديث إذا ابتدأه. والمعنى: بدء المفاوضة، أو من رسست بين القوم: أي أصلحت بينهم. وفي بعض النسخ: واسونا] **حتى مشى بعضنا في بعض واصطلحنا**.

قلت:

- فيه: جواز المصالحة مع العدو الكافر على تفصيل في ذلك - لا يتَّسع المقام هنا لبسطه - وهو مستفاد من جمع النصوص في ذلك وكلام أهل العلم عليها.

وباختصار: فكلام العلماء يشير إلى أن هذا يكون عند الحاجة، وأنه يكون مقيَّدًا وموقتًا بوقت محدد غير مؤبَّد؛ حتى لا تتعطل فريضة الجهاد في سبيل الله.. في تفصيلات لا مجال لذكرها هنا[1].

قال [القائل سلمة رضي الله عنه]: **وكنت تبيعاً لطلحة بن عبيد الله** - [التبيع: الأجير أو الخادم؛ لأنه يتبع مخدومه] -، **أسقي فرسه وأحسّه** -

---

(١) لمزيد من التفصيل في هذا الأمر، راجع: أهمية الجهاد لعلي بن نفيع العلياني. وكتاب: دار الإسلام ودار الكفر والعلاقة بينهما لعابد السفياني.

[أحسّه: أحكّ ظهره بالمحسّة لأزيل عنه الغبار ونحوه] ـ وأخدمه، وآكل من طعامه. وتركت: **أهلي ومالي مهاجراً إلى الله ورسوله ﷺ** .

قلت:

فيه: بيان لمدىٰ صدق أصحاب النبي ﷺ ، وتضحيتهم بكل غال ونفيس في سبيل الله؛ حتىٰ إن الواحد منهم ليرضىٰ بأن يترك أهله وماله ويهاجر في سبيل الله ـ كما فعل سلمة رضي الله عنه ـ، ثم يرضىٰ بعد ذلك، أن يعمل خادماً بطعامه!!! أمَّا اليوم! فيا للأسىٰ من حال الناس اليوم: فجلّ الناس اليوم (مهاجر أمّ قيس) وجلّهم يطلب (صيْدًا) إلاَّ من رحم الله ـ وقليل ما هم؛ بل إنهم أقلّ من القليل علىٰ حدّ قول الشاعر:

وقد كانوا إذاعُـدّوا قليلاً . . . فقد صاروا أقلّ من القليلِ

وهنا ينبغي أن يقف الإنسان طويلاً مع نفسه، ويحاسبها، وينظر إلىٰ نيّته فيصحّحها بين الحين والحين.

ويجمُل بنا في هذا المقام أن نقف عند حديث النبي ﷺ في النيات وفيه:

« . . فمَن كانت هجرته إلىٰ الله ورسوله؛ فهجرته إلىٰ الله ورسوله، ومَنْ كانت هجرتُه لدنيا يُصيبها، أو امرأة ينكحُها؛ فهجرتُه إلىٰ ما هاجر إليه» [متفق عليه].

قال [أي سلمة رضي الله عنه]: فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة، واختلط بعضنا ببعض أتيت شجرة فكسحت شوكها ـ [كسحت شوكها: أي أزحت ما تحتها من شوك وكنسته] ـ **فاضطجعت في أصلها** ـ [أي تحتها] ـ.

قال: فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة، فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ ؛ فأبغضتهم؛ فتحوّلت إلى شجرة أخرى.

قلت: فيه: تحقّق الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بأوثق عرىٰ الإيمان: ألا وهي: (الحبُّ في الله، والبغض في الله)، وهذه المسألة ليست مجرّد دعوىٰ تُقال وتدّعىٰ. وإنّما دليلها ومصداقها ومقتضاها: التغيير ـ إما باليد، أو باللسان، أو بالقلب ـ حسب الاستطاعة، ولا يقولنّ قائل: إن الأمر لاضابط له إذ لن يعجز إنسان أن يدعي أنه يُغيِّر بالقلب. وهذا كلام ضعيف؛ لأن التغيير بالقلب دليله: التحوّل بحسب الاستطاعة.

وهذا الذي نقول هو الذي حدث من سلمة ـ رضي الله عنه ـ؛ لذا فالقاعدة المنضبطة تقول: (إذا لم تُزل المنكر فزُل عنه) ـ كلّ هذا بحسب الاستطاعة ـ، ولكن المسلم الصادق لا تبرأ ذمّته بمجرد ذلك التحوّل والتغيير السلبي فقط، وإنما عليه أن يترقب الفرصة المناسبة ويتحيّنها للتغيير إذا ما سنحت ولا يدعها تمرّ أو تفلت منه.

وهذا الذي نقول هو الذي قد كان من سلمة - رضي الله عنه - على ما سيأتي بعد إن شاء الله.

- أمرٌ آخر نريدُ أن ننبّه عليه: وهو أنَّ سبَّ النبي ﷺ والوقوع فيه جريمة كبرى يستحق فاعلها القتل. ولكن المسلمين في صُلح مع المشركين، ولهم مصلحة - بل ومصالح كثيرة - في هذا الصلح. والأمر في ذلك يرجع إلى تقدير القائد - نعني النبي ﷺ - فهو الذي يُقرّر الإبقاء عليه أو نقْضه. وهذا يُظهر مدى الانضباط الذي كان يتحلّى به سلمة - رضي الله عنه - فلم يُقبل على عمل قد يُعرّض مصلحة المسلمين العامّة للخطر؛ فالمشركون يسبُّون الرسول ﷺ وهذه جريمة، ولكن ليس بعد الكفر ذنب؛ فالأوْلَى الإغضاء عن هذا السبّ إلى حين؛ بل إننا نذهب إلى أبعد من ذلك فنقول: قد يجوز للمسلم أن يفعل أو يتظاهر بهذا الفعل المنكر لمصلحة المسلمين، كما في حديث محمد بن مسلمة - رضي الله عنه - لما طلب من الرسول ﷺ أن يأذن له أن يقول فقال ﷺ له: قُلْ[1].

- وفيه أيضًا: جواز تخلّي المسلم عن بعض الحقوق مراعاة للمصلحة، وهذا من الحكمة وحسن تقدير الأمور، والموازنة بين المصالح والمفاسد؛ حيث إن سلمة - رضي الله عنه - قد ترك الظلّ والمكان الذي كان قد كسح الشوك عنه بنفسه، فتركه لهؤلاء المشركين

---

(١) البخاري/ك المغازي (٤٠٣٧)، مسلم/ك الجهاد (١٨٠١).

لينفردوا به. وهذا الفعل منه ـ رضي الله عنه ـ عَيْنُ الحكمة، وليس من الذلَّة والصَّغار للمشركين.

قال: وعلّقوا سلاحهم واضطجعوا. فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي: (يا للمهاجرين، قُتل ابنُ زُنَيْم).

قلت: لقد بحثت طويلاً عن ابن زُنَيْم المذكور فلم أجد من علَّق عليه ليكشف غموضه. وأخيراً وفَّق الله تعالى وعثرنا على هذا النقل عن قتادة قال: ذكر لنا رجل يُقال له «ابن زُنَيْم» اطلع على الثنيّة من الحديبية، فرماه المشركون بسهم فقتلوه؛ فبعث رسول الله ﷺ خيلاً؛ فأتوه باثنى عشر فارساً، فقال لهم: هل لكم عليَّ عهد؟ هل لكم عليَّ ذمَّة؟ قالوا: لا. فأرسلهم؛ وأنزل الله في ذلك: **﴿وهو الذي كفَّ أيديَهم عنكم وأيديكم عنهم..﴾** [الفتح: ٢٤][1].

هذا كل ما عندنا عن «ابن زنيم» المذكور؛ ومقتضاه أنه من الصحابة، وقد قتله أحد المشركين رغم الصلح الموقع بينهم وبين المسلمين.

---

(١) تفسير ابن كثير، ط. الشعب (٧/ ٣٢٥)، وتفسير الطبري (٢٦/ ٩٤) إلاَّ أن في تفسير الطبري سقطًا وتحريفًا ظاهرين في هذا الموضع؛ إذ فيه الآتي: «... الحديبية رجل يُقال له رهم: اطلع الثنية من الحديبية؛ فرماه المشركون بسهم فقتلوه». أما السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٨٣) فقد أكمل ما سقط من تفسير الطبري إلاَّ أنه قال: (زنيم) بدلاً من (رهم).

ثم عاد بنا الكلام للتعليق على صياح المنادي الذي نادى من أسفل الوادي: (يا للمهاجرين، قُتل ابن زُنيم) فنقول:

يُستفاد من ذلك الفعل: جواز الصياح ورفع الصوت لمصلحة: من نذارة أو بشارة أو غير ذلك من المصالح. وأن هذا الفعل لا يلحق برفع الصوت المذموم من مثل قول لقمان لابنه وهو يَعظُه كما حكى عنه القرآن: ﴿واغضض من صوتك إنَّ أنكَرَ الأصواتِ لصوتُ الحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

قال [سلمة]: فاخترطتّ سيفي، ثم شددت على أولئك الأربعة ـ وهم رقود ـ فأخذت سلاحهم، فجعلته ضغثًا في يدي ـ [الضغث: الحزمة المجموعة].

قلت:

فيه: اهتبال المسلم الفرصة إذا سنحت؛ وإلاَّ فالصبر هو الأجدى حتى تتهيأ الفرصة، وتتغير الظروف والأحوال، أما الجعجعة الفارغة ابتداءً فقد تضر أكثر مما تنفع، ويتطوّر الأمر من سيء إلى أسوأ!! وهذا التصرف غير المنضبط سمة أصحاب النفوس الضعيفة والأعصاب المتوترة: يصيحون . . ويصيحون . . ويصيحون، ثم لا نحصل منهم على شيء.

قال: ثم قلت: والذي كرّم وجه محمد لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناهـ [معناه: ضربت رأسه أي: قتلته].

قلت:

فيه: التزام الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، وأنهم لا يحلفون بغير الله؛ لأن من حلف بغير الله فقد أشرك. كما أن في ذكر سلمة ـ رضي الله عنه ـ لتكريم وجه محمد ﷺ ما يوحي بالتوبيخ والتأنيب والمحاسبة للمشركين الذين كانوا يسبّون محمداً ﷺ منذ قليل، فهذا التصرّف من سلمة ـ رضي الله عنه ـ من أساليب الحرب النفسية الخطيرة التي تشلّ حركة الخصم، وتشلّ تفكيره: فأنتم أيها المشركون كنتم منذ قليل تسبّون محمداً، ولم أرد عليكم ـ ومحمد عندي كريم مكرّم ـ وها هو الآن السيف في يدي، والعقوبة مستحقّة، ولكم قسم ـ بالذي كرم وجه محمد ـ لتتأكدوا من جديّة التهديد، فليس أمامكم إلّا التسليم!!!

هكذا تكلّم سلمة! وهكذا ينبغي أن يتكلّم الرجال: الرجال، فما أعظمها من لغة، وما أصدقها من لهجة.

قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ.

قلت: هذا الذي حدث يُظهر مدىٰ بُعد نظر سلمة ـ رضي الله عنه ـ، ويُظهر قوّة نفسه وصبره وانضباطه؛ حيث إنه كان قد ترك لهم المكان

الذي كان قد هيّأه لنفسه، فتركه لهم ليرقدوا فيه، وذهب عنهم ـ فمكث غير بعيد ـ وقد قرّت أعينهم بالنصر الكاذب، حتىٰ إذا ما ناموا ـ ونفس الحرّ لم تَنَم ـ وإذا به يسمع: «قُتل ابن زُنيم».

إذاً فالعهد قد نقضه المشركون ـ أو بعضهم ـ وهؤلاء من المشركين المعتدين، فهل يُعمل سلمة فيهم السيف؟ لا. إنَّه الجندي المنضبط الذي لا يفتئت علىٰ قائده، ولا يتصرَّف إلَّا عن أمره، فقام رضي الله عنهِ وقد حَزَمَ أمرَه، وسلّ سيفه، فنزع سلاحهم، ثم أتىٰ يسوقهم ـ سوق البهائم ـ إلىٰ رسول الله ﷺ.

وهنا نرىٰ أن من المناسب أن نقف وقفة تأمل مع مسألة قد كثر اللغط حولها ألا وهي: (مسألة تغيير المنكر).

فنقول وبالله التوفيق: إن التغيير له سنن؛ ومن لم يأخذ بها ضاع جهده سُدَىٰ. قال تعالىٰ: ﴿**إنَّ اللَّه لا يُغيِّر ما بقوم حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم**﴾ [الرعد: ١١]. نعم، التغيير واجب، ولكن ينبغي مراعاة الإمكانات، وترتيب الأولويات، ومراعاة التدرج والمرحلية؛ حتىٰ تُعطىٰ كل مرحلة ما يناسبها ـ علىٰ حسب ما تقضي به الأدلة الشرعية، وبالقواعد المقررة، وليس بمجرد الهوىٰ والتشهّي ـ وإلّا فسوف نفسد من حيث نريد الإصلاح.

هذا . . وما أجدرنا أن نقف طويلاً لنتأمل قول الله تعالىٰ : ﴿محمدٌ رسولُ اللَّه والذين معه أشداءُ على الكفار رحماءُ بينهم تراهم ركَّعًا سجَّدًا يَبتغون فضلاً من اللَّه ورضوانًا، سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلُهم في التوراة ومثلُهم في الإنجيل كزرع أخرج شطْأه فآزَرَه فاستغلظَ فاستوى على سُوقه يُعْجبُ الزُّرَّاعَ ليَغيظَ بهم الكفَّار..﴾ [الفتح : ٢٩].

ولاحظ ـ أخي الكريم ـ التدرج والنمو :

ـ ﴿كزرع أخرج شطأه﴾ . أي : فراخه.

ـ ﴿فآزره﴾ . أي : شدّه وقوّاه.

ـ ﴿فاستغلظ﴾ . أي : شبّ واشتد وطال.

ـ ﴿فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾ .

فانظر ـ أيها اللبيب ـ متىٰ تأتي الإغاظة الحقيقية للكفار :

إن الذبابة قد تغيظ الإنسان، ولكنها لا تملك أن تصنع شيئاً ذا بال؛ إلَّا أن تملك ميكروبًا فتَّاكًا مثلاً، والذي يدوس ذيل الكلب قد يغيظه، ولكن : ماذا ستكونْ العاقبة : عاقبة ضرب ذيل الحية؟ أو ضرب الحية ـ زعموا ـ علىٰ ظهرها؟! لاشك أنَّ هذه الطريقة تضرّ أكثر مما تنفع.

ولأهمية هذا الأمر ـ مراعاة التدرج والنمو ـ وخطورته فقد ورد

ذكره في الكتب الثلاث: التوراة والإنجيل والقرآن؛ وذلك لنقف أمامه طويلاً ولا نمر عليه مرور الكرام كما يُقال.

ـ هذا . . وقد عقد العلامة ابن خلدون ـ رائد علم الاجتماع ـ فصلاً قيِّمًا في مقدمته الشهيرة في الفصل السادس: (في أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم). وقد تكلّم فيه عن الذين يتصدون لتغيير المنكر دون أن يأخذوا بأسباب التغيير المناسبة له؛ فتكون النتيجة أنهم يُهلكون أنفسهم ومن حولهم، ولا يَتحصَّل شيء من التغيير الذي أرادوا وقاموا من أجله، وهم يَحسبون أنهم يُحسنون صُنعًا، فقال عنهم وصدق: «. . يهلَكون في هذا السبيل: مأزورين غير مأجورين؛ لأن الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم وإنما أمر به حيث تكون القدرة عليه»[1].

والمقصود بكلمة (عصبية) في كلام ابن خلدون: القوة الفاعلة والمنفعلة بفكرة معينة تعطيها قوة دفع كبيرة تجعلها تلتف حول تلك الفكرة الواضحة، وتجعل الدفاع عنها مسألة حياة أو موت.

ـ هذا . . والحديث كما يُقال ذو شجون، لذا فإننا قد اضطررنا إلى

---

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون (ص/ ١٥٩). هذا ولنا رسالة صغيرة من وريقات قليلة في مرحلية تغيير المنكر. نسأل الله أن ييسر إتمامها. وانظر في ذلك: حركة النفس الزكية لمحمد العبدة، ص(١ ـ ١٣٩)، فقد أجاد وأفاد.

هذا التفريع والاستطراد، ولكننا مضطرون أيضًا أن نقطع هذا الاستطراد ليعود بنا الحديث إلىٰ سلمة ـ رضي الله عنه ـ ليكمل لنا قصّته وروايته.

قال سلمة: **وجاء عمي عامر برجل من العبلات يُقال له مكرز** ـ [العبلات: بطن من قريش من بني عبد شمس، وهم أبناء أميّة الأصغر ابن عبد شمس بن عبد مناف، وسمُّوا بالعبلات نسبة إلىٰ أُمِّهم: عبلة بنت عُبيد وهي من بني تميم].

قلت:

فيه: بيان لشيء من فضائل عامر بن الأكوع ـ رضي الله عنه ـ حيث جاء بهذا الرجل من المشركين أسيراً هو ومن معه. ثم نُكمل الرواية:

. . . يقوده إلى رسول اللّه ﷺ على فرس مجفف في سبعين من المشركين ـ [الفرس المجفف: هو الذي عليه تجفاف، والتِجفاف (بكسر التاء): ثوب يلبسه الفرس ليقيه من السلاح، والمجفف من الخيل كالمدجج من الرجال].

ثم يكمل سلمة الرواية: **فنظر إليهم رسول اللّه ﷺ فقال: دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه.**

قلت: جاء في بعض النسخ: (وثنياه). والمعنىٰ: اتركوهم ليكون لهم عار البدء بالفجور، ثم العودة ثانية إلىٰ الفجور.

ويُستفاد من ذلك: أن للإمام أن يعفو عن أسرىٰ المشركين - بدون مقابل من مبادلة أو فدية أو نحو ذلك - لمصلحة يراها في ذلك. قال تعالىٰ: ﴿.. فإما مَنًّا بعْدُ وإمَّا فِداءً حتى تضعَ الحربُ أوزارَها﴾ [محمد: ٤].

قال سلمة: **فعفا عنهم رسول الله ﷺ، وأنزل الله: ﴿وهو الَّذي كفَّ أيديَهم عنكم وأيديَكم عنهم ببطن مكَّةَ مِن بعد أنْ أظْفرَكم عليهم﴾ الآية كلها** [الفتح: ٢٤].

قال الأُبيّ في شرح مسلم: «وإنما فعل ذلك سلمة وعمّه لما ذكر من قتل المسلم بأسفل الوادي؛ فرأىٰ المسلمون أن الصلح قد انتقض. ولم ينقضه ﷺ: إما أنه لم يتحقق أن المشركين قتلوه بعد الصلح، أو لم ير نقض الصلح بذلك بجهل قاتله»[١].

هذا ما قيل.. والظاهر أن ما حدث كان مجرد حالة فردية وليست نقضًا عامًا، والله أعلم.

قال [أي سلمة - رضي الله عنه -]: **ثم خرجنا راجعين إلى المدينة، فنزلنا منزلاً، بيننا وبين بني لحيان جبل - وهم المشركون - فاستغفر رسول الله ﷺ لمن رقي هذا الجبل الليلة: كأنه طليعة للنبي ﷺ وأصحابه** - [الطليعة: هو الذي يستطلع خبر العدو ويراقب تحركاتهم].

(١) شرح الأبي لصحيح مسلم (٥/١٤٨).

قلت: فيه: إرشاد إلىٰ أهمية ندب الناس عمومًا من غير تعيين إلىٰ الطاعة بالدعاء لهم وتشجيعهم، ولكن إذا كان في الأمر سعة، وكذلك: إذا علم من حال الناس أنهم لن يقصروا في الأمر. أما إذا ضاق الأمر، وخشي ألا ينتدب له من يقوم به فإنه يصار إلىٰ التعيين إذ القاعدة المحكمة تقول: «فرض الكفاية يبقىٰ فرض عين حتىٰ يقوم».

ونذكُر في هذا الصدد الحديث التالي في غزوة الأحزاب:

«عَنْ يَزِيدَ بْنِ شَرِيكٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ. فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ الله ﷺ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ. فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ لَيْلَةَ الأَحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: أَلا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا. فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ. ثُمَّ قَالَ: أَلا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا. فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ. ثُمَّ قَالَ: أَلا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا. فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ. فَقَالَ: قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا، إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي، أَنْ أَقُومَ. قَالَ: اذْهَبْ، فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلاَ تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ . .»[1].

---

(١) رواه مسلم/ك الجهاد (١٧٨٨) وروىٰ أحمد حديثاً رائعاً بنحوه (٥/ ٣٩٢) من رواية محمد بن كعب القرظي عن حذيفة.

لاحظ قول حذيفة: «فلم أجد بُدّاً إذْ دعاني باسمي».

ولاحظ أيضًا قوله ﷺ: «وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ» لتعرف الفرق بين إغاظة تقود إلىٰ «تذعير» وإغاظة عاقلة تقود إلىٰ «تغيير».

ثم عاد بنا الحديث للتعليق علىٰ المقطع الذي مرّ من حديث سلمة وقوله: «فرقيت تلك اللّيلة مرّتين أو ثلاثاً».

قلت: فيه: بيان مدىٰ مسارعة أصحاب النَّبي ﷺ ومسابقتهم في الخيرات، ونخصّ بالذِّكْر هنا: سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه -؛ حيث رقي الجبل المذكور مرَّتين أو ثلاثًا.

ثم يُكمِّل سلمة الحديث قائلاً:

ثم قدمنا المدينة، فبعث رسول اللّه ﷺ بظهره مع رباح غلام رسول اللّه ﷺ وأنا معه، وخرجت معه بفرس طلحة أندّيه مع الظَّهْر - [أنديه: من التندية، وهي: أن تورد الماشية الماء فتُسقىٰ قليلاً، ثم تُرسل في المرعىٰ، ثم ترد الماء فتُسقىٰ قليلاً، ثم تردّ إلىٰ المرعىٰ].

قلت: هذه الطريقة يُقال لها (التضمير)، وفيها: إصلاح للفرس، ورفع لمستوىٰ كفاءته ولياقته.

وقد جاء في بعض الروايات: (أبديه) بالباء بدلاً من النون، والمعنىٰ: أخرجه إلىٰ البادية، وأبرزه إلىٰ الكلأ. ولكن هذه الروايات

خطأ كما أفاده النووي وغيره، والصواب هو (أندّيه) كما في الرواية المذكورة هنا.

[قال سلمة ـ رضي الله عنه]: **فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله ﷺ فاستاقه أجمع، وقتل راعيه** [الظهر: ما يعد من الإبل للركوب والأحمال].

قلت: قد جاء ذكر ذلك من رواية أخرىٰ متفق عليها ـ وقد مرّ تخريجها في أول الرسالة ـ من حديث يزيد بن أبي عبيد قال: سمعت سلمة بن الأكوع يقول: خرجت قبل أن يؤذن بالأولىٰ، وكانت لقاح رسول الله ﷺ ترعىٰ بذي قَرَد [اللقاح: جمع لِقحة (بكسر اللام): هي الناقة ذات اللبن والقريبة العهد بالولادة].

قال [أي سلمة رضي الله عنه]: فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال: أُخذَتْ لقاح رسول الله ﷺ! فقلت: مَنْ أَخذها؟ قال: غطفان . . . الحديث.

قلت: قد يستشكل البعض نسبة (رباح) إلىٰ رسول الله ﷺ، كما مرّ في رواية: إياس بن سلمة، ثم نسبته إلىٰ عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ كما في رواية: يزيد بن أبي عبيد المذكورة آنفًا.

ولندع التعليق للحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ إذ يقول:

«(فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف): لم أقف على اسمه. ويحتمل أن يكون هو (رباح) غلام رسول الله ﷺ كما في رواية مسلم. وكأنه كان ملْك أحدهما وكان يخدم الآخر؛ فنسب تارة إلى هذا وتارة إلى هذا» أ. هـ.[1]. وهذا جمعٌ حسن من الحافظ ـ رحمه الله.

قلت: ثم نعود إلى روايتنا الأصلية لنستكملها.

قال [أي سلمة رضي الله عنه]: فقلت: يا رباح خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة بن عبيد الله، وأخبر رسول الله ﷺ أن المشركين قد أغاروا على سرْحه [السرح: المواشي السائمة، أي: التي ترعى. سميت بذلك لسروحها غدوة إلى المرعى].

قلت:

- فيه: حرص سلمة ـ رضي الله عنه ـ على أداء الأمانة إلى أهلها حتى في أحرج اللحظات وقبيل اللحاق بالمشركين! مع أن هذه الظرف مما تلتمس فيه المعاذير بدون شك. ولكن هكذا كان أصحاب النبي ﷺ في حرصهم على أداء الأمانة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** ..﴾ [النساء: ٥٨].

- وفيه: مسارعة سلمة ـ رضي الله عنه ـ بالنصح للمسلمين وتنبيههم

(١) فتح الباري (٧/ ٥٢٧).

إلىٰ ما حدث مع حسن تصرفه وتقديره للأمور؛ حيث وكّل إلىٰ رباح مهمتين في وقت واحد؛ ليفرغ هو للمهمة الثالثة ـ وهي الأخطر والأهم ـ ألا وهي: ملاحقة المشركين بمفرده سعيًا علىٰ قدميه!

- وفيه: بيان فقه سلمة ـ رضي الله عنه ـ وإخلاصه؛ حيث تحرّك بغير إذن الرسول ﷺ؛ إذ رأىٰ أن تدارك الأمر سيفوت، وأن أمر ملاحقة العدو لا يحتمل التأخير. ومن ذلك نأخذ أنّه يجوز تدارك الأمر الواقع والمتحتم ـ ولو بغير إذن الأمير ـ حتىٰ لا يفوت.

قال [أي سلمة رضي الله عنه]: **ثم قمت على أكمة فاستقبلت المدينة** ـ [الأكمة: المكان المرتفع كالرابية ونحوها] ـ **فناديت ثلاثًا: يا صباحاه.**

قلت: في رواية يزيد بن أبي عبيد المتفق عليها: «فصرخت ثلاث صرخات: يا صباحاه. قال: فأسمعت ما بين لابَتَيْ المدينة» [لابتي المدينة: حرّتيها. والمفرد: لابة، وهي الحَرَّة ذات الحجارة السود]، ولعل البعض يستشكل ذلك ويقول: كيف يُسمع ما بين لابتي المدينة؟!

وندع التعليق للحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ إذ يقول:

«فيه إشعار بأنه كان واسع الصوت جدًا، ويحتمل أن يكون ذلك من خوارق العادات». أ.هـ.[1].

(١) فتح الباري (٧/ ٥٢٧).

هذا. . وقد استدرك بعض الفضلاء في هذا الموضع قائلاً: «بل إن المدينة بين الجبال التي تردّ الصدىٰ كأقوىٰ ما يكون الصوت، لاسيما في آخر الليل». وعليه فلا استشكال.

قلت:

قوله: (يا صباحاه) والصياح بها فيه: جواز رفع الصوت للإنذار والاستنفار ونحو ذلك. وقد مرّ التنبيه علىٰ ذلك في صدر هذا الحديث عند نداء: «يا للمهاجرين، قُتل ابن زُنَيْم».

ويستطرد سلمة ـ رضي الله عنه ـ: **ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز أقول:**

أَنَـــا ابْـــنُ الأَكْـــوَعِ ∴ وَاليَـــوْمُ يَـــوْمُ الرُّضَّـــعِ

قلت: لاحظ هنا أن سلمة ـ رضي الله عنه ـ كان «فارسًا» منذ قليل. ومن أجل حرصه علىٰ أداء الأمانة إلىٰ أهلها فقد أصبح الآن «راجلاً» يركب رجليه! ولكنه بإيمانه ويقينه ـ رضي الله عنه ـ خير من ألف فارس علىٰ ما سوف نرىٰ.

ـ أما قوله: (واليوم يوم الرضع) ـ فالرضع: اللئام؛ فكأنهم قد رضعوا اللؤم من أمهاتهم. وقد قيل في معنىٰ هذه العبارة وتأويلها غير ذلك، وخلاصتها جميعًا الذمّ لهم. وهذا الذي اخترناه هو أقرب

المعاني. ومقصود سلمة ـ رضي الله عنه ـ إخبارهم بأن هذا اليوم يوم إهلاك الرضع اللئام.

ـ ثم يكمّل سلمة القصّة قائلاً: **فألحق رجلاً منهم فأصك سهماً في رحْله حتى خلص نصل السهم إلى كتفه** [أصك: أضرب. ورحله: رحل الناقة: هو كورها].

قال: قلت: خذها وأنَا ابْنُ الأكْوَعِ ∴ وَاليَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ

قلت: لاحظ تفنّنه ـ رضي الله عنه ـ وروعة عرضه للمشهد بقوله: «فألحق .. فأصك» وكان الأصل أن يقول: «فلحقت .. فصككتُ» ولكنه ـ رضي الله عنه ـ عدل عن التعبير بصيغة الماضي إلىٰ صيغة المضارع لاستحضار صورة الفعل حتىٰ ليُخيل إلىٰ القارئ أو السامع اللبيب أن المشهد كأنّه يُعرض عليه في الحال بحركته وكأنه رأي العين.

قلت:

ويُستفاد مما تقدّم: جواز الارتجاز في الجهاد في سبيل الله.

وأيضًا: جواز تعريف الإنسان بنفسه سيما إذا كان شجاعًا معروفًا ليرعب بذلك خصمه. وهذا الأمر يمكن إدراجه تحت ما يُعرف باسم: (الحرب النفسية) أو (الحرب الدعائية).

قال [أي سلمة رضي الله عنه]: **فواللّه مازلتُ أرميهم وأعقر بهم** [أعقر بهم: أي أعقر خيولهم]، **فإذا رجع إليَّ فارس أتيت شجرة فجلست في أصلها ثم رميته فعقرت به، حتى إذا تضايق الجبل فدخلوا في تضايقه علوت الجبل فجعلت أرديهم بالحجارة** [أي: أرميهم بالحجارة فأسقطهم بها].

قلت: ماذا عساي أن أقول هنا تعليقًا على هذا الكلام؟!

والله إِنَّ الأفكار لتتزاحم وتتلاحق في رأسي حتى إن بعضها ليقطع الطريق على بعض؛ فيتوقف القلم في يدي عاجزاً.

فماذا عساي أن أقول؟! أأقول لك يا ابن الأكوع: فارس بلا فرس؟

قد يرى البعض أن اللغة قد لا تسمح بذلك. ولكن قد يرى آخرون أن اللغة وإن كانت لا تسمح بذلك الأمر قديماً فإنها قد باتت تسمح به الآن؛ حيث صرنا نسمع عن منح البعض ـ بحق أو بغير حق ـ وسامًا من رتبة (فارس)! نسبة إلى (الفروسية)! يحدث هذا ولو لم يعتل هذا (الفارس) ظهر فرس قطّ.

- وبالرغم من هذا فإنني أرى ألّا أتجاوز قول رسول الله ﷺ الذي سوف يأتي ألا وهو: «..وخير رجّالتنا سَلَمَة» لاسيما وأن كلمة (فارس) لها دلالتها الخاصة في اصطلاح الفقهاء؛ ولذا فإن الفقهاء

عندما يقفون على قوله: «ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهمين: سهم الفارس وسهم الراجل» فإنهم يقولون: هذا محمول على أن الزائد على سهم الراجل كان نفلاً.

- وعلى أي حال فاصطلاحات الأدباء وتعبيراتهم غير اصطلاحات الفقهاء، إِلّا أن الذي لاشك فيه: أن سلمة ـ رضي الله عنه ـ كان في ذلك اليوم رجلاً بفئة؛ وذلك لكمال يقينه وجسارته وحُسْن تصرّفه ـ رضي الله عنه.

- هذا ولئن جاز لي أن أطلق عنان القلم في التعبير عنه بعد أن عدلتُ عن: (فارس بلا فرس) فإنني أقول عنه: (إنه الرجل الفرس)!! كيف لا وهو سابق الفرس شَدًّا على قدميه؟!

قال [أي سلمة رضي الله عنه]: **فمازلتُ كذلك أتبعهم حتى ما خلق اللَّه من بعير من ظهر رسول اللَّه ﷺ إِلّا خلفته وراء ظهري، وخلّوا بيني وبينه، ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة، وثلاثين رمحاً يستخفون.**

[البردة: ضرب من الثياب. يستخفون: أي يتخففون منها برميها ليسهل عليهم الهرب].

قال [أي سلمة رضي الله عنه]: **ولا يطرحون شيئاً إِلّا جعلت عليه**

آرامًا من الحجارة؛ **يعرفها رسول الله ﷺ وأصحابه** [الآرام: جمع إرم، وهي الحجارة التي تُجمَع وتُنصَب في المفازة كالأعلام يُهتدىٰ بها]، ومعنىٰ: (يعرفها رسول الله ﷺ): أي لكي يعرفها رسول الله ﷺ وأصحابه. وفي ذلك حرص علىٰ نفع المسلمين، وأيضاً: الحرص علىٰ عدم إضاعة المال.

ثم يكمل سلمة ـ رضي الله عنه ـ قائلاً: **حتى أتوا متضايقاً من ثنيّة فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري فجلسوا يتضحون «يعني: يتغدون»**؛ [لأن الغداء طعام الضحىٰ]، **وجلست على رأس قرن** [القرن: جبل صغير منقطع عن الجبل الكبير] **قال الفزاري: ما هذا الذي أرى؟! قالوا: لَقَينا من هذا البرح** [أي الشدّة] **والله ما فارقنا منذ غَلَس** [الغلس: ظلمة آخر الليل] **يرمينا حتى انتزع كل شيء في أيدينا. قال: فليقم إليه نفر منكم أربعة. قال: فصعد إليَّ منهم أربعة في الجبل. قال: فلمَّا أمكنوني من الكلام، قال: قلت: هل تعرفوني؟ قالوا: لا ومن أنت؟ قال: قلت: أنا سلمة بن الأكوع، والذي كرّم وجه محمد ﷺ لا أطلب رجلاً منكم إلا أدركته، ولا يطلبني رجل منكم فيدركني. قال أحدهم: أنا أظن. قال: فرجعوا.**

قلت: لاحظ ذكاء سلمة ـ رضي الله عنه ـ في مخاطبة هؤلاء النفر من المشركين، وكيف مارس معهم أساليب الحرب النفسية؟ وكيف كان تهديده حتىٰ ليقول أحدهم: «أنا أظن» أي: أظن صدقه فيما أخبر به من

تهديد وقدرته على إنفاذه؟ والنتيجة المنطقية لهذا هي الهزيمة النفسية . . فماذا كان؟ كان ما حكى سلمة ـ رضي الله عنه ـ: «فرجعوا» .

ثم يكمل سلمة ـ رضي الله عنه ـ: **فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر** [أي يدخلون من خلال الشجر] .

قلت: لاحظ مدى صبر سلمة ـ رضي الله عنه ـ وقوة احتماله؛ حيث ظلّ في مكانه لم يُفارقه إلى أن رأى فوارس رسول الله ﷺ .

وهنا ملحظ هام نبهني إليه أحد الفضلاء قال: الملاحظ على الناس عمومًا في هذه الأيام: أن الواحد منهم قد يقوم بعمل ما من الأعمال ويبادر إليه، ولكنه سريعًا ما يمل وينتكس، لاسيما إذا تأخر الناس عنه ولم يشاركوه لسبب ما. وعندئذ يتسخط ويطعن في الآخرين؛ لأنه وحده الذي يعمل، وأنه وحده الذي يقدّر المسئولية، وقد أرسل إلى الناس، وفعل وفعل ولم يلحق به أحد. وعليه فقد قرر أن ينسحب وألّا يكمل العمل!! وسبب هذه المفارقة: أن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كانوا يعملون لوجه الله تعالى: وُجد الناس معهم أو لم يوجدوا. أما الآن فالنيات مدخولة غالبًا، إلّا ما رحم ربك .

ثم عاد بنا الحديث إلى سلمة ـ رضي الله عنه ـ ليكمل روايته عن فوارس رسول الله ﷺ الذين رآهم يتخللون الشجر .

قال: فإذا أوّلهم: الأخرم الأسدي. على إثره: أبو قتادة الأنصاري.

وعلى إثره: المقداد بن الأسود الكنديّ. قال: فأخذت بعنان الأخرم [أي: أخذ سلمة ـ رضي الله عنه ـ بعنان فرس الأخرم يريد أن يمنعه من اللحاق بالمشركين وتتبعهم حتىٰ لا ينفردوا به ويقتلوه].

قال: فولوا مدبرين. قلت: يا أخرم احذرهم لا يقتطعوك [أي: احذر أن تُستدرج وراءهم فينفردوا بك] **حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه. قال: يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلم أن الجنة حقّ والنار حقّ فلا تَحُلْ بيني وبين الشهادة. قال: فخلّيته** [أي: تركته]**، فالتقى هو وعبد الرحمن** [يعني ابن بدر الفزاري رأس المشركين]. **قال: فعقر بعبد الرحمن فرسه** [العقر: قطع إحدىٰ قوائم الفرس ولو لم يمت فيتعطل بذلك، والغالب أن ذلك يؤول به إلىٰ الموت] **وطعنه عبد الرحمن فقتله وتحوّل على فرسه. ولحق أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ بعبد الرحمن فطعنه فقتله.**

قلت: يظهر مما تقدّم مدىٰ حرص أصحاب النبي ﷺ علىٰ بعضهم البعض حتىٰ إن سلمة ليريد أن يمنع الأخرم من اللحاق بالمشركين، مع أن سلمة ـ رضي الله عنه ـ قد غامر وجازف بنفسه، وقام بملاحقة المشركين منفرداً علىٰ قدميه! ولكن الأخرم ـ رضي الله عنه ـ طالبٌ للشهادة، يُريدها ويحرص عليها؛ فجعل يضرب علىٰ الوتر الحسَّاس في نفس سلمة ليستثير مشاعره قائلاً له:

«يا سلمـة، إن كنت تؤمن بالله واليـوم الآخـر، وتعلم أن الجنة حقّ والنار حقّ فلا تحل بيني وبين الشهادة». تُرىٰ ماذا يفعل سلمة إزاء هذه المناشدة التي تزلزل القلب فيومض علىٰ الفور ومضة سريعة تسري كالتيار الكهربائي المتدفق في كل الكيان؟!

لقد جاء الرد سريعًا خاطفًا: قال سلمة: فخلَّيته.

قلت:

وما هي إلَّا لحظات لمع فيها الموت، ورفرفت الشهادة، وهبَّت ريح الجنة تنادي: أَقْبِلْ يا طالب الشهادة. فأسرع أن: لبّيك. ولم تطل الجولة حتىٰ لحق الأخرم بالرفيق الأعلىٰ شهيداً مضرجاً بدمه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أُولئك رفيقًا ـ رضي الله عنه وأرضاه.

«جنّاتُ خُلـدٍ» ربُّنا سـوّاها
فيها نعيمٌ والرضا يغشاها
فيها الثيابُ الخضْر ما أطراها
أنهارها ربّ العلىٰ أجراها
نفسي لها تهفو وما أحراها
واهاً لها يا «هند» واهاً واها

ويُستفاد مما تقدّم :

- جواز عقر خيل العدو في القتال .
- كما أنّه يُظهر لنا مدىٰ حرص أصحاب النبي ﷺ علىٰ الشهادة في سبيل الله .
- كما يستفاد من ذلك أيضًا : جواز التغرير بالنفس في الجهاد والمبارزة ونحو ذلك . وأن هذا لا يُعدّ من الإلقاء بالنفس إلىٰ التهلكة .

ويحسُن بنا في هذا المقام أن نسوق هذا الحديث :

عن أسلم أبي عمران قال : غزونا من المدينة نريد القسطنطينية ، وعلىٰ الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة ، فحمل رجل علىٰ العدو . فقال الناس : مه مه ! ! لا إله إلَّا الله ! يُلْقي بيديه إلىٰ التهلكة .

فقال أبو أيوب الأنصاري : إنما أُنزلت (نزلت) هذه الآية فينا معشر الأنصار ؛ لما نصر الله نبيه وأَظهر الإسلام قلنا : هلمّ نقيم في أموالنا ونصلحها ؛ فأنزل الله عز وجل : ﴿**وأنفقوا في سبيل اللَّه ولا تُلْقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾ [البقرة : ١٩٥] .

فالإلقاء بأيدينا (بالأيدي) إلىٰ التهلكة : أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد .

قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يُجاهد في سبيل الله عز وجل حتىٰ دُفن بالقسطنطينية[1].

ونعود إلىٰ سلمة ـ رضي الله عنه ـ ليُكمل لنا الرواية:

[قال سلمة]: **فوالذي كرّم وجه محمد ﷺ لتبعتهم أعدو على رجلَيَّ حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد ﷺ ولا غبارهم شيئًا حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء يُقال له: (ذا قَرَد) ليشربوا منه وهم عطاش** [الشعْب: الفرجة بين الجبلين كالوادي. وذا قرد: كذا في أكثر النسخ وفي بعض النسخ (ذو قرد) بالواو بدلاً من الألف، وهو المناسب لغةً هنا].

قلت: رحم الله سلمة ورضي عنه، فمازال الرجل الفرس يُطارد المشركين ويُقاتلهم وكأنه فئة من قُبيل الفجر إلىٰ الآن! وهاهو يعْدو وراءهم علىٰ رجليه إلىٰ قبيل غروب الشمس! وإنه ليوغل في السير وراءهم حتىٰ إنه لينفرد فلا يرىٰ وراءه أحدًا من أصحاب النبي ﷺ، ولا حتىٰ شيئًا من غبارهم!! فما له ـ رضي الله عنه ـ لم يخش علىٰ نفسه الذي خشي علىٰ الأخرم من أن يقتطعه المشركون إذا انفردوا به؟!

---

(١) رواه أبو داود/ ك الجهاد، باب (٢٣) في قوله تعالىٰ: ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلىٰ التهلكة**﴾ [٣/ ٢٧ (٢٥١٢)]، والترمذي بنحوه/ ك التفسير (٢٩٧٦)، والنسائي في الكبرىٰ/ ك التفسير (١١٠٢٨)، (١١٠٢٩) وهو حديث صحيح.

قال: فنظروا إليَّ أعدو وراءهم فحلَّيتُهم عنه «يعني: أجليتهم عنه» [يعني: عن الماء]، **فما ذاقوا منه قطرة. قال: ويخرجون فيشتدون في ثنيّة.**

قال: فأعدو فألحق رجلاً منهم فأصكّه بسهم في نغض كتفه [نغض الكتف: هو العظم الرقيق على طرف الكتف].

قال: قلت: خذها وأنا ابن الأكوع ... واليوم يوم الرضع

قال: [أي المشرك الذي رماه سلمة]: **يا ثكلته أمه! أكوعه بكرة؟!**

[يريد المشرك أن يسأل: أأنت الأكوع الذي كان بكرة هذا النهار يتبعنا؟ وذلك أنه لما لحق بهم كان يرميهم ويرتجز:

خذها وأنا ابن الأكوع ... واليوم يوم الرضع

وقد مضى كل ذلك].

قال: قلت: نعم يا عدو نفسه أكوعك بكرة [أي: أنا هو الذي تسأل عنه].

قال: وأردوا فرسين على ثنية [أي: خلفوهما وتركوهما هربًا وخوفًا أن يُلحَقوا].

قال: فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ.

قال: ولقيني عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن وسطيحة فيها ماء [السطيحة: إناء من جلود قد سُطح بعضها على بعض، أو باختصار: هي القربة. والمذقة من اللبن: هي القليل من اللبن الممزوج بالماء] **فتوضأت وشربت، ثم أتيت رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي حلأتهم عنه** [أي: على ماء ذي قَرَد الذي أجليتهم عنه، وقد مرّ]، **فإذا رسول الله ﷺ أخذ تلك الإبل وكل شيء استنقذته من المشركين، وكل رمح وبردة، وإذا بلال نحر ناقة من الإبل الذي استنقذت من القوم** [كذا في أكثر النسخ (الذي) وفي بعضها (التي) وهو الأوجه، وإن كان لفظ (الذي) صحيحًا لغةً أيضًا، كما أفاده النووي وغيره].

[قال سلمة]: **وإذا هو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها قال: قلت: يا رسول الله، خلني فأنتخب من القوم مائة رجل فأتبع القوم فلا يبقى منهم مخبر إلّا قتلته** [الانتخاب: الاختيار وانتقاء الجيد من الأشياء].

قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه في ضوء النار [النَّواجذ: الأنياب. وقيل: الأضراس، والأوَّل هو الصَّحيح الرَّاجح هنا؛ لأن النَّبي ﷺ كان ضحكه تبسماً].

فقال: [أي النَّبي ﷺ]: **يا سلمة أتراك كنت فاعلاً؟**

قلت: نعم والَّذي أكرمك.

فقال: إنهم الآن ليقرون في أرض غطفان [القرىٰ: ما يُقدَّم للأضياف من طعام ونحوه].

قال: فجاء رجل من غطفان فقال: نحر لهم فلان جزوراً [الجزور: الجمل أو البعير: ذكراً كان أو أنثىٰ، ولكن اللفظة مؤنثة]، **فلما كشفوا جلدها** [أي: سلخوها] **رأوا غباراً فقالوا: أتاكم القوم! فخرجوا هاربين.**

قلت:

في هذا معجزة أخرىٰ من معجزات النبي ﷺ؛ حيث أخبر عن المشركين أنهم يقرون في أرض غطفان. ثم جاء رجل من غطفان ليؤيد خبره بذلك.

ثم لنا وقفة عند قول الغطفاني: «رأوا غباراً، فقالوا: أتاكم القوم! فخرجوا هاربين» فنقول:

- إن هذا يأتي مصداقًا لقول النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «نُصِرْتُ بالرُّعْب..»(١).

- وفيه: أن النصر يأتي من عند الله حتىٰ لو لم تكن القوىٰ متكافئة، فعلىٰ المسلمين أن يعيشوا هذه الحقيقة، ويأخذوا بالأسباب قدر

(١) رواه البخاري في مواضع منها/ك الجهاد (٣١٢٢)، ومسلم/ك المساجد (٥٢٣)، والترمذي/ك السير (١٥٥٣)، والنسائي/ك الجهاد (٦/ ٣).

الاستطاعة، ثم يأتي النصر بعد ذلك من عند الله. قال تعالىٰ: ﴿سنُلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ [آل عمران: ١٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿سأُلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ [الأنفال: ١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وقَذَفَ في قلوبهم الرعب﴾ [الأحزاب: ٢٦، والحشر: ٢].

[قال سلمة رضي الله عنه]: **فلما أصبحنا قال رسول اللّه ﷺ: «كان خير فرساننا اليوم: أبو قتادة،وخير رجّالتنا: سلمة».**

قلت:

هذا فيه: استحباب الثناء علىٰ الشجعان، وكذا سائر أهل الفضائل لاسيما عند صنيعهم الجميل وبلائهم الحسن؛ لما في ذلك من الترغيب لهم ولغيرهم في الإكثار من ذلك الفعل الجميل، ولكن هذا كله (في حق من يؤمن عليه الفتنة) كما قرره النووي وغيره.

قال: ثم أعطاني رسول اللّه ﷺ سهمين: سهم الفارس وسهم الراجل. فجمعهما لي جميعاً، ثم أردفني رسول اللّه ﷺ على العضباء راجعين إلى المدينة.

قلت: قال البعض: إن الزائد علىٰ سهم الراجل لسلمة ـ رضي الله عنه ـ كان نفلاً لبديع صنعه في هذه الغزوة. فيُؤخذ منه تقدير الكفاءات المتميزة بقدر زائد من العطاء ونحوه.

كما يُستفاد من إرداف النبي ﷺ لسلمة ـ رضي الله عنه ـ وهو داخل في التكريم المشار إليه آنفًا، يُستفاد منه أيضًا: جواز الإرداف على الدابة (إذا كانت مطيقة) وإنما وضع هذا القيد ـ إذا كانت مطيقة ـ حتى لا يفضي ذلك إلى تعذيب الحيوان [وأما العضباء المذكورة: فهي ناقة النبي ﷺ.

ويُقال: إنها لم تكن عضباء: أي مشقوقة الأذن، وإنما هو لقب لها فقط].

قال: فبينما نحن نسير. قال: وكان رجل من الأنصار لا يسبق شدًا [شدا: أي عدْوًا على رجليه] **قال: فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة؟ هل من مسابق؟ فجعل يُعيد ذلك! قال: فلما سمعت كلامه قلت: أما تكرم كريمًا ولا تهاب شريفًا؟ قال: لا، إلا أن يكون رسول اللّه ﷺ.**

قال: قلت: يا رسول اللّه بأبي وأمي ذرني فلأسابق الرجل.

قال: «إن شئت». قال: قلت: اذهب إليك، وثنيت رجلي فطفرت [طفرت: أي قفزت] **فعدوت. قال: فربطت عليه** [أي تأخرت] **شرفًا أو شرفين** [الشرف: الشوط أو المسافة المعينة] **أستبقي نفسي** [أي: أن العلّة من هذا التأخر أن يستبقي نفسه، أي: لكي لا يقطعها البهر وشدة النفس إذا أسرع مرة واحدة]، **ثم عدوت في إثره، فربطت شرفًا أو شرفين. قال: ثم إني رفعت حتى ألحقه. قال: فأصكه بين كتفيه. قال: قلت: قد سُبقتَ واللّه. قال: أنا أظن. قال: فسبقته إلى المدينة.**

قلت: يُستفاد من ذلك: جواز المسابقة على الأقدام، ولكن بلا عوض، وهذا الاحتراز يفيد المنع من القمار والرهان المحرم، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «من حلف فقال في حلفه باللَّات والعزَّىٰ؛ فليقل: لا إله إلَّا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك؛ فليتصدق»(١).

قال الحافظ: «القمار حرام باتفاق» أ.هـ.(٢).

كما نقل عن الطيبي قوله: «والحكمة في ذكر القمار بعد الحلف باللَّات والعزىٰ أن من حلف باللَّات وافق الكفار في حلفهم؛ فأمر بالتوحيد، ومن دعا إلىٰ المقامرة وافقهم في لعبهم؛ فأمر بكفَّارة ذلك بالتصدق» أ.هـ.(٣). ولهذا قلنا في جواز المسابقة: «بلا عوض».

كما أن فيه: بيان لمدىٰ تأدب الصحابة مع النبي ﷺ؛ فالرجل يستثني رسول الله ﷺ من التحدِّي، أما سلمة ـ رضي الله عنه ـ فيستأذن النبي ﷺ فأذن له.

---

(١) رواه البخاري في مواضع منها/ك التفسير (٤٨٦٠)، ومسلم/ك الأيمان (١٦٤٧)، وأبو داود/ك الأيمان (٣٢٤٧)، والترمذي/ك النذور (١٥٤٥)، والنسائي/ك الأيمان (٧/ ٧).

(٢) فتح الباري (٨/ ٤٧٩).

(٣) فتح الباري (١١/ ٥٤٥).

قـال [أي سلمـة رضي الله عنه]: **فواللَّه ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول اللَّه ﷺ .**

قـلـت: بهـذا احتج البخاري في تحديد زمن غزوة ذي قرد، وأنـها كانت بعد الحديبية وقبل خيبر بثلاث. وهذا هو الصحيح الراجح خلافًا لمن قال غير ذلك من أصحاب السير اعتماداً على روايات ضعيفة لا تنتهض لدفع ما في الصحيح. وعليه فقد قلنا: إنها كانت سنة سبع على الراجح.

قال: فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم:

تاللَّـه لولا اللَّـه ما اهتـدينا ... ولا تـصـدقـنا ولا صلَّيـنا

ونحن عن فضلكَ ما استغنينا ... فثبِّـت الأقـدام إن لاقيـنا

وأنْـزِلَـنْ سَـكينةً عليـنا

فقال رسول اللَّه ﷺ : من هذا؟ قال: أنا عامر.

قال: «غفر لك ربُّك».

قال: وما استغفر رسول اللَّه ﷺ لإنسان يخصّه إلّا استشهد.

قال: فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له: يا نبي اللَّه، لولا ما متعتنا بعامر؟

قلت:

- فيه: إثبات معجزة ظاهرة للنبي ﷺ سيأتي تحققها بعد؛ حيث إنه كان كما ورد: «ما دعا بالمغفرة لإنسان يخصّه إلّا استشهد». وهذا ما كان وحدث لعامر - رضي الله عنه - على ما سيأتي.
- ويُستفاد من ذلك أيضًا: جواز الرجز والحداء وإباحته.
- وأيضًا: طلب الاستزادة من ذلك، إذا كانت هناك فائدة أو مصلحة تتحصّل من ذلك، وأن ذلك ليس من اللغو المحرَّم.

قال: **فلما قدمنا خيبر قال: خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه** [يخطر بسيفه: يرفعه مرة ويضعه أخرى ويهزّه إعجاباً بنفسه. ويجوز أن يكون المعنى: أنه كان يمشي متبختراً وسيفه في يده] ويقول:

قد علِمَتْ خَيْبَرُ أنِّي مَرْحَبُ ∴ شَاكِي السَّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ

إِذَا الحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

[شاكي السلاح: تام السلاح وله شدّة ومنعة في سلاحه. والبطل: الشجاع، وسُمِّي بطلاً لأنّه يُبطل قوّة خصمه ويغلبه].

قال: وبرز له عمِّي عامر فقال:

قد علِمَتْ خَيْبَرُ أنِّي عَامِرُ ∴ شَاكِي السَّلاحِ بَطَلٌ مُغَامِرُ

قال: فاختلفا ضربتين. فوقع سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يسفل له [أي يضربه بالسيف من أسفله]، **فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله!!!** [الأكحل: عرق يُقال له: عرق الحياة، وهو في اليد. ويُقال: إن في كل عضو منه شعبة] **فكانت فيها نفسه** [أي: كان في هذه الإصابة نهاية عامر ـ رضي الله عنه ـ واستشهاده].

قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبي ﷺ يقولون: بَطُلَ عمل عامر؛ قتل نفسه. قال: فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكي. فقلت: يا رسول اللَّه، بطل عمل عامر؟!

قال رسول اللَّه ﷺ: من قال ذلك؟!

قال: قلت: ناس من أصحابك!

قال: كذب من قال ذلك! بل له أجره مرتين.

قلت:

- فيه: بيان جواز إجابة المشركين إذا فاخروا بأنفسهم.
- وفيه أيضًا: جواز الفخر والخيلاء في الحرب كما في الحديث: «من الخيلاء ما يُحب الله عز وجل، ومنها ما يُبغض الله عز وجل...» الحديث. وفيه: «.. والاختيال الذي يُحب الله عز وجل: اختيال

الرجل بنفسه عند القتال»[1].

والمقصود باختيال الرجل عند القتال: دخوله في المعركة بنشاط، وإظهار الجلادة والتبختر فيه؛ بما يحمل معنى الاستهانة والاستخفاف بالعدو لإدخال الرعب في قلبه.

- ويُستفاد من الحديث أيضًا: أن من قاتل في سبيل الله فقُتل فهو شهيد: سواء قُتل بسلاحه، أو بسلاح غيره، أو رمته الدَّابة أو بغير ذلك من الأسباب.

- وكذلك يُؤخذ منه: جواز إطلاق لفظ (الكذب) على من أَفتى بغير علم، وتكون كذب هنا بمعنى: أخطأ.

- وفيه أيضًا: التشديد على من أفتى بغير علم.

والفتوى بغير علم مزلق خطير طالما زلَّت فيه الأقدام. وكم تسارع الناس في الفتوى مسارعة الفراش إلى النار، فينبغي الحذر من ذلك أشدّ الحذر، قال تعالى: ﴿**ولا تَقْفُ ما ليس لك به علمٌ**﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال أيضًا في شأن الشيطان: ﴿**إنما يأمركم بالسُّوء والفحشاء وأنْ تقولوا على اللَّه ما لا تعلمون**﴾ [البقرة: ١٦٩].

---

(١) رواه أبو داود/ك الجهاد (٢٦٥٩)، والنسائي/ك الزكاة (٥/ ٧٨) وأحمد (٥/ ٤٤٥، ٤٤٦). وهو حديث حسن.

وفي الحديث المتفق عليه في قبض العلم: عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا؛ اتخذ الناس رؤوسًا جُهَّالاً، فسُئلوا. فأفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا»[1] .

وجاء أيضًا عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «أصاب رجلاً جُرح في عهد رسول الله ﷺ ثم احتلم فأُمر بالاغتسال، فاغتسل فمات، فبَلَغَ ذلك رسول الله ﷺ فقال: قتلوه قَتَلَهم الله، أَلَمْ يكن شفاء العيّ السؤال؟»[2] .

[قال سلمة رضي الله عنه]: **ثم أرسلني إلى عليٍّ وهو أرْمَد** [أرمد: أي عينه مصابة بالرمد] **فقال: «لأعطينّ الراية رجلاً يُحب اللّه ورسوله أو يحبه اللّه ورسوله» قال: فأتيت عليًّا فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول اللّه ﷺ . فبَسَق في عينيه فبَرَأ، وأعطاه الراية** [بسق: بزق وبصق. وقد تقدَّم في أول الحديث].

(١) البخاري/ك العلم (١٠٠)، ومسلم/ك العلم (٢٦٧٣).

(٢) رواه أبو داود/ك الطهارة (٣٣٧)، وابن ماجة/ك الطهارة ٥٧٢٠)، والحاكم (١/ ١٦٥، ١٧٨)، وابن حبان (١٣١٤ إحسان)، وابن خزيمة (٢٧٣)، وابن الجارود في المنتقى (١٢٨)، والبيهقي (١/ ٢٢٦)، والدارمي/ك الطهارة (٧٥٢)، وأحمد (١/ ٣٣٠)، وهو حسن بشواهده.

قلت:

- في هذا بيان معجزة ظاهرة من معجزات النبي ﷺ؛ حيث بسَقَ في عيني عليّ - رضي الله عنه - فشفي بإذن الله؛ ببركته ﷺ، وقد مرّ في أول هذه الرواية أنه ﷺ بسق في عين الحديبية فجاشت بالماء.

- هذا... وللنبي ﷺ معجزة أخرىٰ في هذا الصدد، ولكنها لم ترد في هذه الرواية؛ بل وردت في روايات أخرىٰ كثيرة؛ حيث قال ﷺ في إحدىٰ هذه الروايات:

«لأعطين الراية غداً - أو ليأخذنّ الراية غداً - رجلٌ يُحبه الله ورسوله - أو قال: يُحبُّ الله ورسوله - يفتح الله عليه..» متفق عليه.

والشاهد في هذا الحديث هو قوله: «يفتح الله عليه»؛ لأن الفتح قد وقع بالفعل علىٰ يد عليّ - رضي الله عنه.

ثم يكمل سلمة - رضي الله عنه - الرواية قائلاً: وَخَرَجَ مَرْحَبٌ فَقَالَ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ ∴ شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ

إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فَقَالَ عَلِيٌّ:

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ .·. كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَهْ

أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

[حيدرة: اسم من أسماء الأسد؛ وذلك أن فاطمة بنت أسد يُقال: إنه لما وُلد لها عليّ - رضي الله عنه - كانت قد سمّته باسم أبيها، وكان أبوه أبو طالب في سفر فلما عاد سمَّاه (عليًّا).

والصاع: مكيال معروف يسع أربعة أمداد، وهو الذي تقدَّر به زكاة الفطر. والمد: ملء الكفين المبسوطتين. والسندرة: مكيال ضخم بالنسبة إلى الصاع. وعليه فمعنى أوفيهم بالصاع كيل السندرة: أنه شديد الوطأة على الأعداء حتى ليوفيهم الحساب مضاعفًا أضعافًا كثيرةً].

- وفيه: جواز إجابة المشركين إذا فاخروا. وقد مرّ التنبيه على ذلك.

قال [يعني سلمة رضي الله عنه]: **فضرب رأس مرحب فقتله. ثم كان الفتح على يديه**. أهـ.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

*** *** ***

وبعد

فهذا حديث واحد قد حوىٰ العديد من الفوائد والدروس، منها ما أخذناه عن الغير، ومنها ما فتح الله علينا به . . وهذا تعديدها :

١ـ بيان معجزة من معجزات النبي ﷺ بفيضان الماء ببركته من بئر الحديبية حتىٰ كفىٰ خمسة عشر ألفًا.

٢ـ التنبيه إلىٰ أن الاهتمام بأصحاب الكفاءات ومن يُرْجىٰ خيرهم سنَّة نبوية ينبغي الحرص عليها، وهذا واضح من تكرار دعوته ﷺ لسلمة إلىٰ البيعة.

٣ـ أهمية تعهّد القائد لجنوده ورعيته؛ فمن رأىٰ به حاجة إلىٰ شيء زوّده به، كما فعل النبي ﷺ مع سلمة لما رآه عزلاً لا سلاح معه فزوّده بالسلاح.

٤ـ جواز مراجعة الكبير للبيان والتنبيه إذا تطرّق احتمال السهو؛ حيث قال سلمة : «قد بايعتك يا رسول الله . . » ولم ينكر عليه النبي ﷺ .

٥ـ أهمية تفقّد الإمام لرعيته وجنوده والسؤال عما في أيديهم من سلاح وغيره.

٦ـ أهمية تبسّط القائد مع جنوده وملاطفتهم مما يقوي أواصر المحبة.

٧ـ بيان فضيلة الإيثار التي كان يتمتع بها الصحابة رضي الله عنهم.

٨ـ احترام الكبير وتقديمه من خُلُق المسلم؛ سيما إذا كان من ذوي القرابة، كما فعل سلمة مع عمّه عامر ـ رضي الله عنهما.

٩ـ جواز التمثل بأقوال السابقين إذا ناسب القول المقام.

١٠ـ بيان جواز المصالحة مع العدو الكافر، ولكن بشروط تطلب من مظانها لمن أراد.

١١ـ بيان مدىٰ صدق أصحاب النبي ﷺ؛ إذ يرضىٰ أحدهم أن يترك أهله وماله ويهاجر في سبيل الله، ثم يرضىٰ بعد ذلك أن يعمل خادمًا بطعامه!!! وهذا المثال الرائع يدعونا إلىٰ الوقوف مع النفس ومحاسبتها وتصحيح النية.

١٢ـ بيان تحقق الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بأوثق عرىٰ الإيمان التي هي: (الحب في الله . . والبغض في الله).

١٣ـ ينبغي علىٰ المسلم التحول من مكان المنكر ـ قدر الاستطاعة ـ إذا لم يمكن تغييره، ثم تحيّن الفرصة المناسبة للتغيير.

١٤ـ بيان جواز تخلي المسلم عن بعض الحقوق والمكتسبات مراعاة للمصلحة. وأن هذا من الحكمة وليس من الصغار والذلة للمشركين.

١٥ـ ضرورة الانضباط احترامًا للقيادة العليا، وحفظًا للمصالح العامة للأمة ولو وقعت بعض المنكرات من مثل سَبِّ الرسول ﷺ.

١٦ـ جواز رفع الصوت بالصياح لمصلحة: من نذارة أو بشارة أو نحو ذلك؛ حيث نادى منادي المسلمين: «يا للمهاجرين، قُتل ابن زُنْيم»؛ فعل ذلك ليأخذوا حذرهم من المشركين .. في نصوص أخرى في ذلك.

١٧ـ على المسلم أن ينتهز الفرصة إذا سنحت ولا يضيعها مع المحافظة على الانضباط وعدم الافتئات على القيادة؛ إذ جاء سلمة ـ وكذا عمّه عامر ـ بالمشركين أسارى إلى رسول الله ﷺ ليأمر فيهم بأمره.

١٨ـ أهمية ندب الناس إلى الطاعة بالدعاء لهم وتشجيعهم.

١٩ـ أهمية الاستطلاع ومراقبة تحركات العدو.

٢٠ـ بيان حرص الصحابة على أداء الأمانة حتى في أحرج اللحظات.

٢١ـ بيان الحرص على النصح للمسلمين مع حسن التصرف وتقدير الأمور، كما فعل سلمة ـ رضي الله عنه ـ لما علم بما كان من غارة المشركين.

٢٢ـ بيان جواز التحرك المرن، والتصرف بغير إذن القيادة؛ إذا كان تدارك الأمر سيفوت ولا يحتمل التأخير.

٢٣ـ جواز الارتجاز في الجهاد في سبيل الله .

٢٤ـ جواز المفاخرة وتعريف الإنسان بنفسه إذا كان شجاعًا معروفًا؛ ليرعب بذلك خصمه من المشركين .

٢٥ـ ينبغي الحرص على نفع المسلمين وتدارك الأمور التي من شأنها إضاعة المال على المسلمين؛ حيث كان سلمة يضع على الأشياء علامات من الحجارة ليعرفها النبي ﷺ وأصحابه .

٢٦ـ جواز عقر خيل العدو في القتال .

٢٧ـ بيان حرص أصحاب النبي ﷺ على الشهادة، كما كان من شأن الأخرم الأسدي رضي الله عنه .

٢٨ـ يجوز للمسلم التغرير بنفسه في الجهاد والمبارزة ونحو ذلك؛ وهذا لا يُعدّ من الإلقاء بالأيدي إلى التهلكة .

٢٩ـ بيان معجزة أخرى للنبي ﷺ ؛ حيث أخبر أن القوم يقرون في أرض غطفان؛ فجاء رجل من غطفان فأخبر بذلك .

٣٠ـ بيان أن النصر يأتي من عند الله، وأن جنود الله كثيرة ومنها: «الرعب» ﴿وما يعلمُ جنودَ ربِّك إلا هو﴾ [المدثر: ٣١] .

٣١ـ جواز الثناء على الشجعان وكذا سائر أهل الفضائل؛ سيما عند

صنيعهم الجميل؛ لترغيبهم وترغيب غيرهم في الإكثار من ذلك، كل هذا: (إذا أمنت الفتنة).

٣٢ـ جواز تنفيل البعض زيادة على سهمه إذا قام بعمل بديع متميز، وتكريمه أيضًا وتقريبه.

٣٣ـ جواز الإرداف على الدابة ـ إذا كانت مطيقة ـ وهذا القيد وُضع لئلا يُفضي إلى تعذيب الحيوان.

٣٤ـ جواز المسابقة على الأقدام إذا كان ذلك بلا عوض: أي بلا قمار أو رهان.

٣٥ـ بيان تأدُّب الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ مع النبي ﷺ واستئذانهم للمسابقة في حضرته ﷺ.

٣٦ـ إثبات معجزة أخرى للنبي ﷺ؛ حيث ما دعا بالمغفرة لإنسان يخُصَّه إلَّا استشهد. وهذا ما حصل مع عامر بن الأكوع ـ رضي الله عنه.

٣٧ـ بيان جواز الرجز والحداء، وجواز طلب الاستزادة من ذلك؛ حيث فعل عامر، وطلب الاستزادة عمر، ولم ينكر النبي ﷺ.

٣٨ـ بيان جواز إجابة المشركين إذا فاخروا بأنفسهم.

٣٩ـ جواز الفخر والخيلاء في الحرب لإدخال الرعب في قلوب المشركين.

٤٠ـ بيان أن من قاتل في سبيل الله فقتل فهو شهيد: سواء قتل بسلاحه، أو بسلاح غيره، أو رمته الدابة، أو بغير ذلك من الأسباب المتعلقة بالقتال.

٤١ـ جواز إطلاق لفظ: (الكذب) على من أفتى بغير علم، وتكون (كذب) هنا بمعنى: (أخطأ).

٤٢ـ مشروعية التشديد والنكير على من أفتى بغير علم.

٤٣ـ بيان معجزة أخرى ـ وهي الرابعة ـ للنبي ﷺ في هذا الحديث؛ حيث بسق في عيني عليّ ـ رضي الله عنه ـ وهو أرمد فشفي ثم أعطاه الراية لفتح خيبر ففتحها.

ـ هذا.. وقد استنبط بعض العلماء فوائد أخرى ولكنها ضعيفة المأخذ أو بعيدة المتناول ولذا ضربت صفحًا عنها.

وما يزال الباب مفتوحًا لمزيد من الاستنباط؛ لأَنَّه ليس حكرًا على أحد. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ولكن يبقى الشيء الأهم: هو أن نعمل بما علمنا؛ لأنَّ العلم ما نفع لا ما سُطِّر وجُمع.

ـ هذا . . وقد آثرنا أن نأخذ الحديث بتمامه رغم أنه لا يختص بغزوة ذي قرد وحدها ؛ لوضوح العلاقة بين أجزائه وعموم الفائدة فيه ؛ حيث يبرز لنا جوانب من شخصية سلمة بن الأكوع ـ رضي الله عنه ـ وهو بطلنا في غزوة ذي قرد، وكذا غيره من الصحابة الكرام.

كما أن الحديث بتمامه يعمّق فقهنا لمعنىٰ الجهاد في سبيل الله، ويبرز لنا جانبًا من أسباب النصر التي كان يأخذ بها الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ﴿**وما النصر إلَّا من عند اللَّه**﴾ [آل عمران : ١٢٦ ، الأنفال : ١٠].

ـ واللهَ نسأل أن ينفع بهذه الرسالة، والتي نرجوا أن تبعث الأمل في النفوس التي قد يصيبها اليأس والقنوط ؛ بسبب الطغيان المتسلّط في الأرض ـ كل الأرض ـ، فهذا سلمة ـ رضي الله عنه ـ شخص واحد ولكنه فعَلَ الكثير الطيِّب.

ومن قبل رأينا غلام الأخدود[1] ، وقد أجرىٰ الله علىٰ يديه الكثير، مما يدل علىٰ أن بعض الأفراد قد يكون لهم دور هائل في التغيير.

(١) قصة غلام الأخدود مع الملك والساحر والراهب معروفة، وقد وردت الإشارة إليها في سورة البروج في قوله تعالىٰ: ﴿قُتِلَ أصحابُ الأخدود. .﴾، ومن أراد التفصيل فلينظر: مسلم/ك الزهد والرقائق (٣٠٠٥)، والترمذي/ك التفسير بنحوه (٣٣٣٧) والنسائي في الكبرىٰ (١١٦٦١)، وأحمد (٦/ ١٦)، (٨/ ٢٢٩)، وعبد الرزاق (٩٧٥١).

وعليه . . فعلىٰ الإنسان أَلَّا ييأس لعلوِّ الباطل وتسلّطه وعتوّه، وعليه أَلَّا يَحْقِر نفسه.

﴿إن اللّه لا يُغيِّرُ ما بقوم حتى يُغيِّروا ما بأنفسهِم﴾ [الرعد: ١١].

﴿وهو الذي يُنزِّلُ الغيثَ من بعْدِ ما قَنَطوا ويَنْشُرُ رحمتَهُ وهو الوليُّ الحميد﴾ [الشورىٰ: ٢٨].

وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

***   ***   ***

لوحـــات الشـــرف

(١) العـــدَّاء الأول :

[سلمة بن الأكوع]

(٢) طالب الشهادة :

[الأخرم الأسدي]

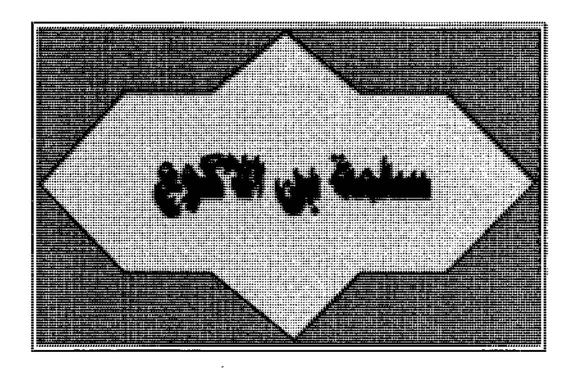
(٣) أسد الله وفارس رسوله ﷺ :

[أبو قتادة الأنصاري]

(٤) فارس رسول الله ﷺ :

[المقداد بن عمرو]

العدَّاء الأول



اسمه: سلمة بن الأكوع، من قبيلة أسلم ـ سالمها الله ـ وهي مشهورة بالرماة، وفضائلها كثيرة ومآثرها معروفة في الإسلام.

والأكوع: العظيم الكاع، ومن أقبل رسغاه على منكبيه.. إلخ[1].

وقد ثبت أنه ـ رضي الله عنه ـ كان ضخم اليدين، كأن كفّه خف بعير أو كف بعير.

كنيته: أبو مسلم، وقيل: أبو إياس، وقيل: أبو عامر. والراجح: أبو مسلم كما في البخاري/ك المغازي (٤٢٠٦)، وك الجهاد (٢٩٦٠).

أخوته: أهبان بن الأكوع: المعروف بمكلّم الذئب. وقد قيل ذلك لسلمة أيضًا. وعامر بن الأكوع: والمشهور أنه عمّه ولكن جاء في بعض الروايات أنه أخوه. وقد أجيب عن ذلك: بأنَّه لعلَّه كان أخاه من الرضاعة وعمَّه من النسب، والله أعلم.

غزواته: له مع الرسول ﷺ سبع غزوات، ومع أبي بكر وأسامة تسع.

- مع الرسول ﷺ: خيبر والحديبية، ويوم حنين، ويوم ذي قرد، ويوم الفتح، ويوم الطائف، وغزوة تبوك.
- ومع أبي بكر: إلى بني فزارة، وإلى بني كلاب، وفي بعثة الحج سنة تسع.

---

(١) انظر: ترتيب القاموس المحيط (٤/ ١٠٠).

- ومع أسامة: سرية الحرقات من جهينة، وإلىٰ أُبْنىٰ بنواحي البلقاء .. إلخ. وقد ذكر أنه شارك في فتوح المغرب العربي وأفريقيا.

مناقبه: ـ أردفه النبي ﷺ مراراً. مرّة منها في ذي قرد، وقد مرّ ذلك[1].

- وهو مذكور في عداد المهاجرين وإن لم يكن من أهل مكة.

- كان من حرّاس النبي ﷺ وقد حدث عن نفسه قائلاً: كنت من حرّاس رسول الله ﷺ[2].

- وقيل كان يصيد ويهدي إلىٰ النبي ﷺ[3].

- وقد عُرِفَ رضي الله عنه بصدق اللهجة، فعن إياس قال: «ما كذب أبي قطّ في جد ولا هزل»[4].

- وكان جاداً حتىٰ أنه كان ينهىٰ أولاده عن بعض الألعاب، ويقول عن هذه الألعاب: «إنها مأثمة»[5].

مواليه: عُدّ يزيد بن أبي عبيد من مواليه، وهو الذي روىٰ عنه غزوة ذي قرد في الرواية المقابلة لرواية ولده «إياس» وقد مرَّت.

---

(١) انظر: مجمع الزوائد للهيثمي (٩/ ٣٦٣)، والطبراني في الكبير (٧/ ٢٧).
(٢) قيل: رواه أبو يعلىٰ، وانظر تهذيب تاريخ ابن عساكر (٧/ ١٣٢).
(٣) الطبراني في الكبير (٧/ ٦).
(٤) التاريخ الكبير (٢/ ٧٠).
(٥) الطبقات الكبرىٰ (٤/ ٣٠٧).

وفاته: بعد فتنة مقتل عثمان لم يُشارك في الفتنة، وتصدر للعلم من لدن توفي عثمان ـ رضي الله عنه ـ شهيداً مظلوماً، إلىٰ أن توفي هو سنة أربع وسبعين علىٰ الراجح ـ وهذا هو ترجيح ابن عساكر وابن عبد البر وابن حجر ـ أي أنّه اعتزل حوالي أربعين سنة.

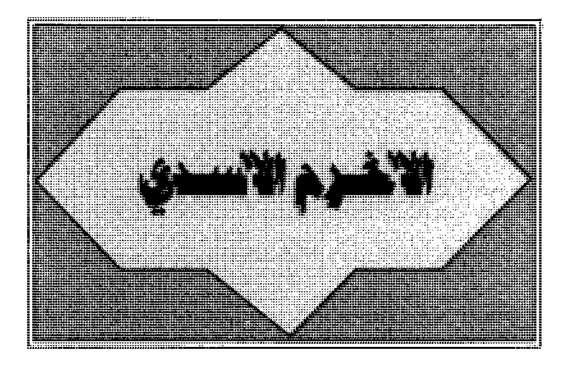
وقد كان النبي ﷺ قد أَذِنَ لأسلم في التعرب بعد الهجرة، وأن هذا لا يضرهم في هجرتهم، ودخل في ذلك سلمة ـ رضي الله عنه ـ، وحديثه مع الحجاج بن يوسف الثقفي في التعرب بعد الهجرة في صحيح البخاري(1)؛ حيث عيّره الحجاج بذلك. وردّ عليه سلمة رضي الله عنه.

وقد ظلّ مقيماً في الربذة؛ حيث كان أبو ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ، ولما دنا أجله تحوّل إلىٰ المدينة فأكرمه الله تعالىٰ بالوفاة فيها، وقد بلغ من العمر ثمانين سنة بعد حياة مليئة بالجهاد في سبيل الله، وقد مرّ شيء من ذلك، فرضي الله عنه وأرضاه.

*** *** ***

(1) البخاري/ك الفتن (٧٠٨٧).

طـــــالب الشـــــهادة



اسمه: محرز بن نضلة الأسديّ، ويُعرَف بالأخرم.

كنيته: أبو نضلة. وكان أبيض، حسن الوجه، وكان يُلقَّب (فُهَيْرَة).

غزواته: ذُكر أنه شهد بدراً وأُحُداً والخندق ويوم ذي قرَدَ.

وفاته: قُتِلَ رضي الله عنه يوم ذي قرَد على ما مرَّ. وقد قيل: إنه كان يوم قُتل ابن سبع وثلاثين أو ثمان وثلاثين. وكأن الخلاف في ذلك هو بعينه الخلاف في تاريخ غزوة ذي قرد، فقد قيل: إنها كانت سنة سبع أو ست. وقد رجّحنا أنها كانت سنة سبع، وعليه فالأخرم ـ رضي الله عنه ـ كان ابن ثمان وثلاثين. أما من قال: إنها كانت سنة ست فالأخرم على ذلك كان ابن سبع وثلاثين. وعلى أي حال، فقد مات الأخرم ـ رضي الله عنه ـ في ريعان شبابه. وقد رأينا كيف كان حرصه على الشهادة وطلبه لها؟!

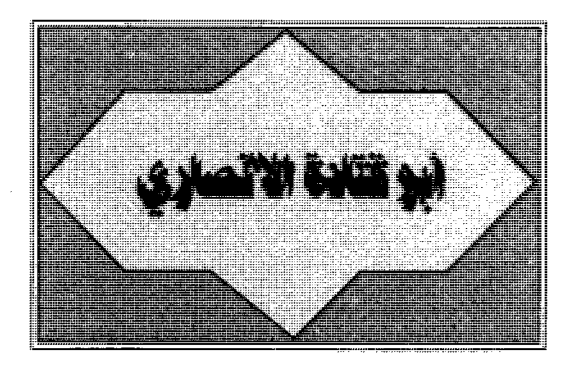
وقد رُوي عن صالح بن كيسان قال: قال محرز بن نضلة: رأيت سماء الدنيا أفرجت لي حتى دخلتها حتى انتهيتُ إلى السماء السابعة، ثم انتهيتُ إلى سدرة المنتهى فقيل لي: هذا منزلك، فعرضتها على أبي بكر الصديق، وكان أعبَر الناس، فقال: أبْشِرْ بالشهادة! فقُتِلَ بعد ذلك بيوم.

وهذا الذي ذكرنا هو كل ما توفر لنا عن هذاالصحابي الجليل بعد البحث، وقد كنا في شوق إلى معرفة المزيد عنه، ولكن لم نظفر بغير ما مرّ تسطيره، فرضي الله عنه وأرضاه[1].

---

(١) انظر: أسد الغابة (٥/ ٧٣)، والإصابة (٩/ ١٠٠)، والاستيعاب (١٠/ ١٤ ـ ١٥)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٧٠ ـ ٧١).

أسد الله وفارس رسوله ﷺ



اسمه: الحارث بن ربعي الأنصاري الخزرجي السلمي.

وهو من الصحابة المشهورين بالمناقب: سمَّاه رسول الله ﷺ: «فارس رسول الله». وسمَّاه أبو بكر: «أسد الله»[1].

وفي رواية: أن عمر أيضًا سمَّاه: «أسد الله».

وكان ذلك منهما عندما قال ﷺ في إحدىٰ غزواته [في رواية: يوم حنين]: «من قتل كافرًا فله سلبُه» فقَتَلَ أبو قتادة أحد المشركين ثم ذكر علامته بعد ذلك، فقال رجل: إنه قد أخذ سلبه، وطلب من النبي ﷺ أن يعطيه إياه وأن يرضي أبا قتادة ـ رضي الله عنه ـ.

فقال أبو بكر: «لا ها الله. إذًا لا يعمد إلىٰ أسد من أسد الله فيعطيك سلبه»[2].

وقال عمر: «لا يفيئوها الله علىٰ أسد من أسده ويعطيكها»[3].

غزواته: شهد أُحُدًا والحديبية ويوم حنين.. وقد مرَّ ذكره في غزوة ذي قرد، وما قال فيه النبي ﷺ.

---

(١) انظر: أسد الغابة (٦/ ٢٥٠)، والإصابة (٣/ ٨١)، وأحمد (٥/ ٣٠٦).
(٢) البخاري/ ك فرض الخمس (٣١٤٢)، مسلم/ ك الجهاد (١٧٥١).
(٣) أحمد (٣/ ١٩٠، ٢٧٩) وإسناده صحيح.

وقد كان رضي الله عنه يحرس النبي ﷺ حتىٰ قال له مرّة: «اللَهم احفظ أبا قتادة كما حفظني منذ الليلة»[1] .

وفاته: توفي رضي الله عنه بالمدينة، وصلّىٰ عليه عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، وقد ذُكِرَ أنَّه كَبَّر عليه سبعًا[2] .

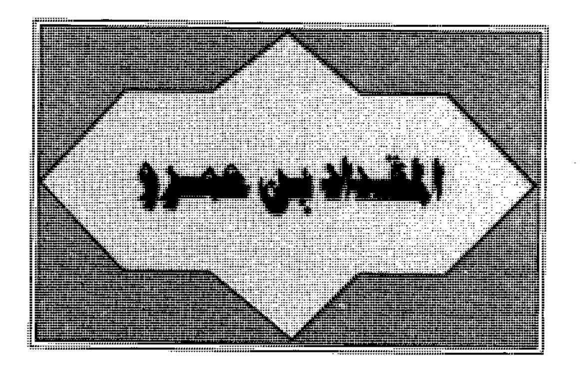
فرضي الله عنه وأرضاه.

*** *** ***

(١) مسلم/ك المساجد (٨٦١).

(٢) ابن أبي شيبة (٣/ ٣٠٤).

فارس رسول الله ﷺ



اسمه: المقداد بن عمرو بن ثعلبة. ويُقال له: ابن الأسود؛ لأنَّه ربِّي في حجْر الأسود بن عبد يغوث الزهريّ، فتبنّاه ونسبَه إليه، وهو أحد السابقين الأولين، وكان يُلقَّب بفارس رسول الله ﷺ.

قيل: كان آدم: [أي شديد السُّمْرة] طوالاً، ذا بطن، أشعر الرأس [أي: كثير شعر الرأس]، أعين [أي ضخم العين واسعها]، مقرون الحاجبين، مهيباً.

غزواته: شهد بدراً والمشاهد كلها. وكان يوم بدر فارسًا.

وقد قيل: إنه لم يثبت أنه شهد بدراً فارس غيره. وقد اختلف في الزبير بن العوَّام ومرثد بن أبي مرثد الغنويّ: هل كانا فارسين أم لا؟ وقد كان رضي الله عنه من الرماة المذكورين.

وقد حدَّث عن نفسه بحديث طريف فقال:

«أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَان لِي. وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الْجَهْد، فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَىٰ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ. فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبلُنَا. فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ فَانْطَلَقَ بِنَا إِلَىٰ أَهْله. فَإِذَا ثَلاثَةُ أَعْنُزٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: احْتَلبُوا هَذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا. قَالَ: فَكُنَّا نَحْتَلبُ فَيَشْرَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَّا نَصِيبَهُ، وَنَرْفَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَصِيبَهُ. قَالَ: فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لاَ يُوقظُ نَائمًا، وَيُسْمعُ الْيَقْظَانَ. قَالَ: ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ فَيُصَلِّي، ثُمَّ يَأْتِي شَرَابَهُ فَيَشْرَبُ. فَأَتَانِي الشَّيْطَانُ ذَاتَ لَيْلَةٍ. وَقَدْ شَرِبْتُ

نَصيبِي. فَقَالَ: مُحَمَّدٌ يأْتِي الأنصارَ فيُتحِفُونَهُ. ويُصيبُ عِنْدَهُمْ. ما بِهِ حَاجَةٌ إِلَىٰ هَذِهِ الْجُرْعَةِ. فَأَتَيْتُها فشَرِبْتُها. فَلَمَّا أَنْ وَغَلَتْ فِي بَطْنِي، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ. قَالَ: نَدَّمَنِي الشَّيْطَانُ. فقَالَ: وَيْحكَ مَا صَنَعْتَ؟ أَشَرِبْتَ شَرَابَ مُحَمَّدٍ؟ فَيَجِيءُ فَلاَ يَجِدُهُ فَيَدْعُو عَلَيْكَ فَتَهلِكُ. فَتَذْهَبُ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ. وَعَلَيَّ شَمْلَةٌ، إِذَا وَضَعْتُهَا عَلَىٰ قَدَمَيَّ خَرَجَ رَأْسِي، وَإِذَا وَضَعْتُهَا عَلَىٰ رَأْسِي خَرَجَ قَدَمَايَ. وَجَعَلَ لاَ يَجِيئُنِي النَّوْمُ. وَأَمَّا صَاحِبَايَ فَنَامَا وَلَمْ يَصْنَعَا مَا صَنَعْتُ. قَالَ: فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَلَّمَ كَمَا يُسَلِّمُ، ثُمَّ أَتَىٰ الْمَسْجِدَ فَصَلَّىٰ، ثُمَّ أَتَىٰ شَرَابَهُ فَكَشَفَ عَنْهُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا. فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ. فَقُلْتُ: الآنَ يَدْعُو عَلَيَّ فَأَهْلِكُ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي. قَالَ: فَعَمَدْتُ إِلَىٰ الشَّمْلَةِ فَشَدَدْتُهَا عَلَيَّ. وَأَخَذْتُ الشَّفْرَةَ فَانْطَلَقْتُ إِلَىٰ الأَعْنُزِ أَيُّهَا أَسْمَنُ فَأَذْبَحُهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِذَا هِيَ حَافِلَةٌ، وَإِذَا هُنَّ حُفَّلٌ كُلُّهُنَّ. فَعَمَدْتُ إِلَىٰ إِنَاءٍ لآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا كَانُوا يَطْمَعُونَ أَنْ يَحْتَلِبُوا فِيهِ: قَالَ: فَحَلَبْتُ فِيهِ حَتَّىٰ عَلَتْهُ رَغْوَةٌ. فَجِئْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ فَقَالَ: أَشَرِبْتُمْ شَرَابَكُمُ اللَّيْلَةَ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، اشْرَبْ، فَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَنِي. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، اشْرَبْ. فَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَنِي. فَلَمَّا عَرَفْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَوِيَ، وَأَصَبْتُ دَعْوَتَهُ، ضَحِكْتُ حَتَّىٰ أُلْقِيتُ إِلَىٰ الأَرْضِ. قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِحْدَىٰ سَوْآتِكَ يَا مِقْدَادُ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَانَ مِنْ أَمْرِي كَذَا وَكَذَا. وَفَعَلْتُ كَذَا. فَقَالَ

النَّبِيُّ ﷺ: مَا هذه إلاَّ رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ. أَفَلاَ كُنْتَ آذَنْتَنِي. فَنُوقِظَ صَاحِبَيْنَا فَيُصِيبَانِ مِنْهَا. قَالَ: فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُبَالِي إِذَا أَصَبْتَهَا وَأَصَبْتُهَا مَعَكَ، مَنْ أَصَابَهَا مِنَ النَّاسِ»[1].

وقدكان رضي الله عنه من السابقين إلى الإسلام، فعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان أوّل من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعمَّار، وأمَّه سُميَّة، وصُهيب، وبلال، والمقداد..»[2].

وحدَّث أبو راشد الحبراني قال:

وافيتُ المقداد فارس رسول الله ﷺ بحمص على تابوت من توابيت الصيارفة قد أفضل عليها من عظمه يريد الغزو فقلت له: قد أعذر الله إليك. فقال: أبت علينا سورة البحوث ﴿انفروا خفافًا وثقالاً﴾ [التوبة: ٤١][3].

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٠٢٨)، ومسلم/ك الأشربة (٢٠٥٥) واللفظ له، والترمذي مختصرًا/ك الاستئذان (٢٧٢٠)، والنسائي في الكبرىٰ/ك عمل اليوم والليلة مختصراً (١٠١٥٥)، وأحمد (٦/ ٢، ٣).

(٢) رواه ابن ماجه في المقدمة (١٥٠)، والحاكم (٣/ ٢٨٤)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٨١)، وابن حبان (٧٠٨٣ إحسان)، وابن أبي شيبة (١٢/ ١٤٩)، وأحمد (١/ ٤٠٤).

(٣) ابن سعد (٣/ ١٢١)، والحلية (١/ ١٧٦)، والحاكم (٣/ ٣٤٩) وصححه، وابن جرير في تفسيره (١٠/ ١٣٩). ومعنى «قد أفضل عليها من عظمه» يريد ضخامة جسمه، و«سورة البحوث»: هي التوبة؛ سُميت بذلك لما فيها من البحث عن المنافقين وكشف أسرارهم.

وقد كان رضي الله عنه من أصحاب المواقف الكبيرة، فعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال:

«شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحبّ إليّ مما عدل به: أتىٰ النبي ﷺ وهو يدعو علىٰ المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسىٰ ﴿اذهبْ أنتَ وربُّك فقاتلا﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكنَّا نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك، وخلفك. فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه، وسرَّه ـ يعني قوله ـ»[1].

وفاته: عاش المقداد ـ رضي الله عنه ـ نحواً من سبعين سنة مشتغلاً بالجهاد، ومهتمًا بعظائم الأمور إلىٰ أن مات سنة ثلاث وثلاثين. ويُقال: إنه مات بالجرف علىٰ بُعْد ثلاثة أميال من المدينة. وقيل: عشرة، فحُمل إلىٰ المدينة، ودُفن بها في البقيع. وقد صلَّىٰ عليه عثمان، فرضي الله عنه وأرضاه.

وإلىٰ هنا نعطي القلم فرصة لكي يستريح بعد هذه الرحلة الممتعة، ونكتفي بهذا القدر من لوحات الشرف، وإن كانت لوحات الشرف كثيرة. وإنما اقتصرنا علىٰ الأبطال المذكورين في غزوة ذي قرد، رضي الله عنهم وأرضاهم.

---

(١) رواه البخاري/ك المغازي (٣٥٩٢)، والنسائي في الكبرىٰ/ك السير (٨٥٨٠)، وأحمد [١/ ٣٨٤٩ (٣٦٩٨)، ٤٢٨ (٤٠٧٠)، ٤٥٧ (٤٣٧٦)].

قائمة المراجع [1]

١- أهمية الجهاد لعلي نفيع العلياني، دار طيبة، الرياض.

٢- ترتيب القاموس المحيط، دار الفكر.

٣- تفسير ابن كثير، ط. دار الشعب، مصر.

٤- تفسير الطبري «جامع البيان»، ط. مصطفى البابي الحلبي.

٥- حركة النفس الزكية لمحمد العبدة، دار الأرقم، الكويت.

٦- دار الإسلام ودار الكفر، للسفياني، على الآلة الكاتبة.

٧- دراسات إسلامية، لسيد قطب، دار الشروق.

٨- الدر المنثور للسيوطي، مكتبة ابن تيمية.

٩- فتيان أسلم، لعبد الحميد طهماز، دار السلام، القاهرة.

١٠- لسان العرب لابن منظور، دار المعارف، مصر.

١١- مقدمة ابن خلدون، دار الفكر.

(١) لم نذكر دواوين السنة وشروحها وكتب التخريج والتواريخ والطبقات لكثرتها، واكتفينا بذكر كل منها في حينه.

الفهـــــرس

*** *** ***

منشورات مكتب الدراسات والتحقيق

بدار طيبة

* أين نحن من أخلاق السلف ؟
* النذير العريان ـ لتحذير المرضى والمعالجين بالرقى والقرآن .
* المجددون (إمام أهل السنة أحمد بن حنبل) .
* المواجهة (دراسة في الصراع بين الشيطان وحزبه) .
* أبو بكر رجل الدولة .
* شرح الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله .
* غزوة فريدة . . ودروس عديدة .

❑ الكتاب القادم :

* رياض الدعاة والمصلحين .

من منشورات دار طيبة

* سلسلة وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم

لعبد العزيز بن ناصر الجليل

١- وإذا قلتم فاعدلوا .

٢- قل إنما أعظكم بواحدة .

٣- قل هو من عند أنفسكم .

٤- إن ربك حكيم عليم .

٥- متى نصر اللَّه .

٦- وكونوا مع الصادقين .

٧- ولا تلبسوا الحق بالباطل .

٨- لا تحسبوه شراً لكم .

٩- قل هو نبأ عظيم .

***　　***　　***

من منشوراتنا

* شرح أصول أهل السنة للالكائي (١ - ٥ مجلد) ت: الدكتور أحمد سعد حمدان.
* الأوسط لابن المنذر (١ - ٥ مجلد) ت: أبي حماد صغير أحمد حنيف.
* العلل للدارقطني (١-١٠ مجلد) ت: الدكتور محفوظ الرحمن السلفي.
* تفسير البغوي (١-٨ مجلد) (ط. ثالثة).
* التصحيف وأثره في الحديث والفقه (رسالة جامعية)، لجمال اسطيري.
* الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (رسالة جامعية ٢ مجلد)، لعبدالعزيز مصطفى.
* تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من رواية الإمام الطبري (رسالة جامعية ٢ مجلد)، للدكتور محمد أمحزون.
* مسألة التقريب بين الشيعة والسنة (رسالة جامعية ٢ مجلد)، للدكتور ناصر بن عبد الله القفاري.

* عودة الحجاب (١ - ٣ مجلد) لمحمد إسماعيل .
* منهج دراسة التاريخ الإسلامي ، للدكتور محمد أمحزون .
* الولاء والبراء في الإسلام ، للدكتور محمد بن سعيد القحطاني .
* الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة ، لعبد الله بن الدميجي .
* تاريخ خليفة بن خياط ، ت : الدكتور أكرم العمري .
* الجناية بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي ، للدكتور مسفر غرم الله الدميني .
* المنهج الأسعد في ترتيب أحاديث مسند الإمام أحمد (١ - ٤) ، لعبد الله ناصر عبد الرشيد رحماني .
* موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ، للدكتور أكرم ضياء العمري .
* أهل السنة والجماعة ـ معالم الانطلاقة الكبرى ، لمحمد عبد الهادي المصري .

*** *** ***